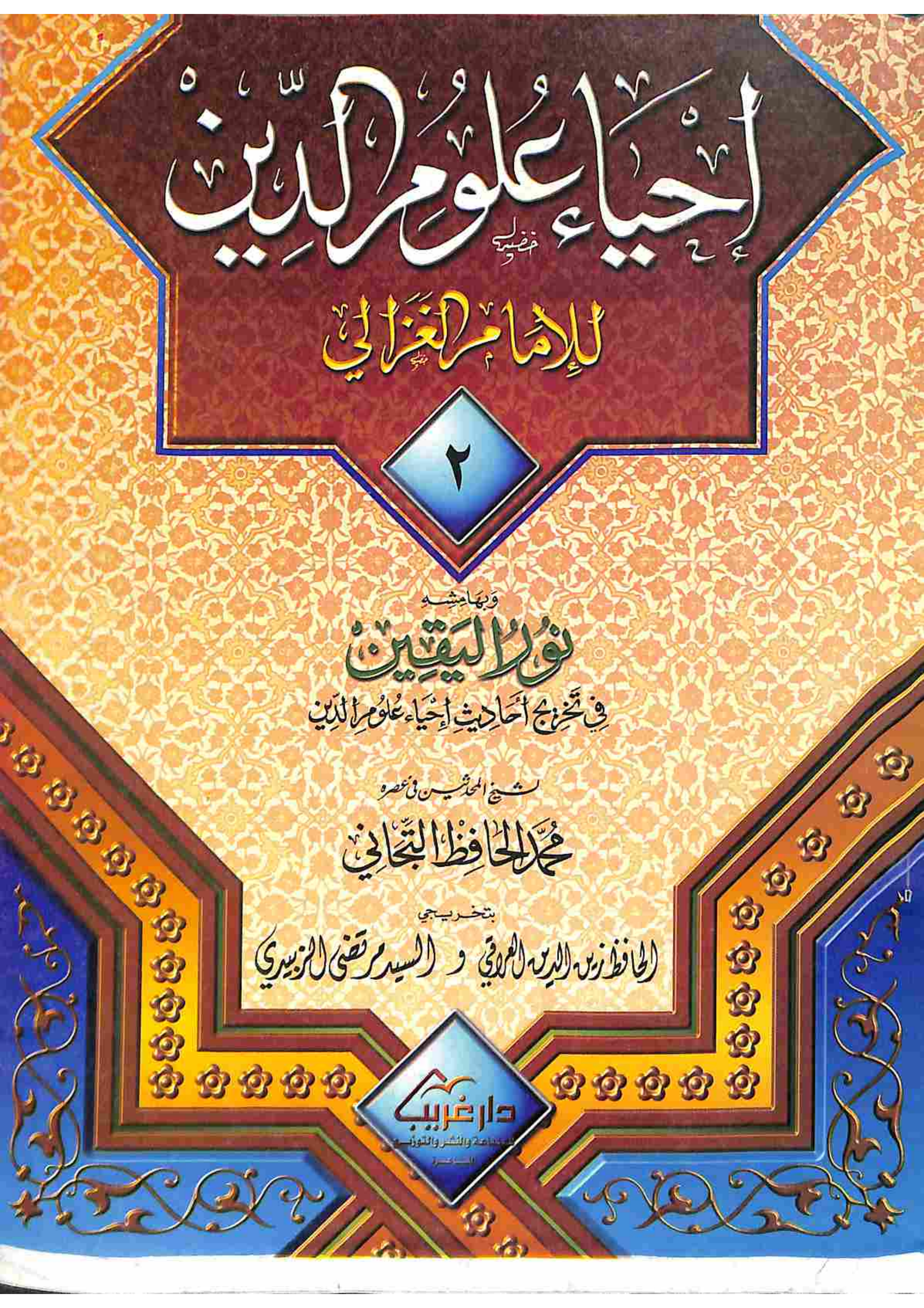
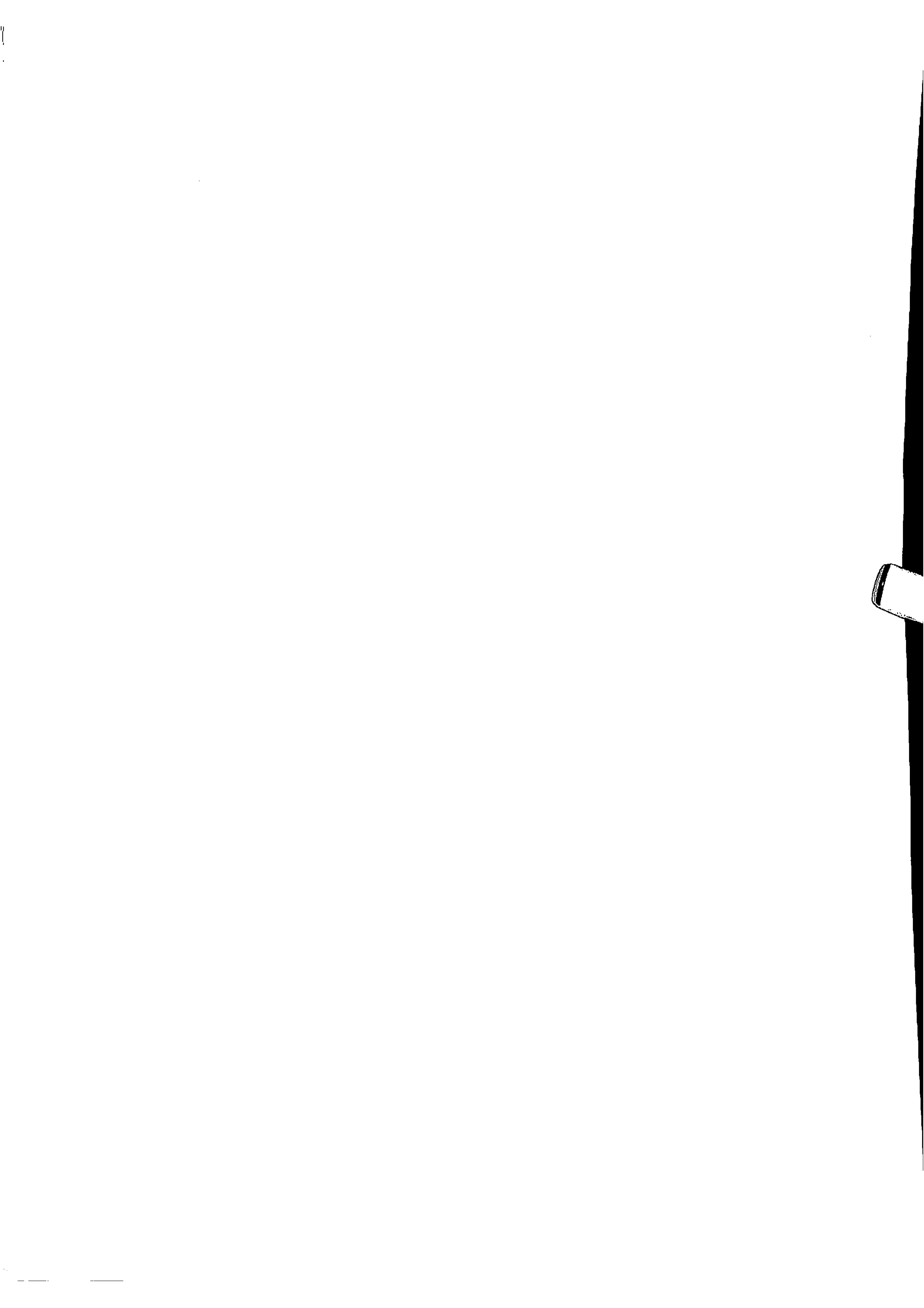


إحياء علوم الدين
للإمام الغزالي
٢
وبهامشه
نور اليقين
في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين
لشيخ المحدثين في عصره
محمد الحافظ التجاني
بتخريجي
الحافظ زين الدين العراقي و السيد مرتضى الزبيدي
دار غريب



وقال ﷺ : « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة » (٤١) .

= مجلس عالم أفضل من حضور ألف جنازة تشيعها، ومن حضور ألف مريض تعوده، ومن قيام ألف ليلة للصلاة، ومن ألف يوم تصومه، ومن ألف درهم تتصدق بها، ومن ألف حجة سوى الفرض، ومن ألف غزوة سوى الواجب تغزوها فى سبيل الله بنفسك ومالك » الحديث وفيه: فقال رجل: قراءة القرآن ؟ فقال: « ويحك وما قراءة القرآن بغيرعلم، وما الحج بغير علم، وما الجمعة بغير علم، أما علمت أن السنة تقضى على القرآن والقرآن لا يقضى على السنة »، قال ابن الجوزى: هذا حديث موضوع . أما المذكر فقال أبو بكر الخطيب: هو متروك ، وأما الهروى فهو الجويبارى وهو الذى وضعه، وإسحق بن نجيح قال أحمد: أكذب الناس اهـ. **قال مرتضى**: ونص ابن الجوزى بعد قوله: بنفسك ومالك « وأين تقع هذه المشاهد من مشهد عالم، أما علمت أن الله يطاع بالعلم، ويعبد بالعلم وخير الدنيا والآخرة فى العلم، وشر الدنيا والآخرة فى الجهل» ؛ فقال رجل. . . إلخ، وقد أقره على كونه موضوعا الحافظ بن حجر فى اللسان، وقال: هذا من طامات الجويبارى، وتبعه الحافظ السيوطى فى اللآلئ المصنوعة، وقد وجدت لحديث أبى ذر طريقا أخرى أخرجه ابن ماجه كما فى الذيل للسيوطى والحاكم فى تاريخه كما فى الجامع الكبير له فى مسند أبى ذر ولفظه: « يا أبا ذر، لأن تغدو فى أن تتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة، وأن تغدو فتتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلى ألف ركعة تطوعا» . فيحتمل أن الشيخ أشار إلى هذا والله أعلم. وأخرج الخطيب وابن النجار فى تاريخيهما عن ابن عباس مرفوعا: « من تعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به، كان أفضل من صلاة ألف ركعة، فإن هو عمل به أو علّمه كان له ثوابه وثواب من يعمل به إلى يوم القيامة».

(٤١) حديث: « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة». **قال العراقى**: رواه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف، والهروى فى ذم الكلام من رواية عمرو بن أبى كثير عن أبى العلاء عن الحسين بن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « من جاءه الموت . . . » فذكره وزاد فيه: فمات على ذلك، وفى رواية الهروى عمرو بن كثير وهكذا رواه الدارمى فى مسنده إلا أنه قال: عن الحسن ولم ينسبه، وأطلقه ابن السنى فى رياضة المتعلمين وابن عبد البر فى العلم، وقال بعد ذلك: إنه من مراسيل الحسن، فجعله للحسن البصرى، وهذا هو الظاهر فقد ذكر ابن حبان أبا العلاء هذا فى أتباع التابعين من الثقات، وقال إنه يروى عن الحسن وإنه روى عنه ابن عيينة وقد اختلف فيه على عمرو بن أبى كثير فقصره بعضهم على الحسن وزاد بعضهم بعد الحسن ابن عباس وهو حديث مضطرب ا هـ . ورواه يونس بن عبد الأعلى عن ابن أبى فديك قال: حدثنى عمرو بن كثير عن أبى العلاء عن الحسن مرسلا، هكذا قال عمرو بن كثير وأخرجه ابن عساكر عن الحسن مرسلا، وأخرجه ابن النجار عن الحسن عن أنس إلا أنهما قالا يحيى به الإسلام لم تكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة فى=

« وأما الآثار » فقال ابن عباس ﷺ: ذللت طالبًا فعززت مطلوبًا وكذلك قال ابن أبى مليكة رحمه الله: ما رأيت مثل ابن عباس، إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجهًا، وإذا تكلم فأعرب الناس لسانًا ، وإذا أفتى فأكثر الناس علمًا. وقال ابن المبارك رحمه الله: عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة . وقال بعض الحكماء : إنى لا أرحم رجالا كرحمتى لأحد رجلين : رجل يطلب العلم ولا يفهم ، ورجل يفهم العلم ولا يطلبه. وقال أبو الدرداء ﷺ : لأن أتعلم مسألة أحبّ إلىّ من قيام ليلة ، وقال أيضًا : العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم، وقال أيضًا : كن عالما أو متعلمًا أو مستمعًا ولا تكن الرابع فتهلك . وقال عطاء: مجلس علم يكفر سبعين مجلسًا من مجالس اللهو ، وقال عمر ﷺ : موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه.

= الجنة. **قال العراقى:** ويروى أيضا عن ابن عباس رواه ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين من رواية عمرو بن كثير عن أبى العلاء عن الحسن عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ : «من جاء أجله وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام لم تفضله النبيون إلا بدرجة واحدة » . وعمرو بن كثير لا أدرى من هو، وقد اختلف عليه فيه كما تقدم، ورواه الأزدى فى الضعفاء وأبو نعيم فى كتاب فضل العالم العفيف وابن عبد البر فى العلم من رواية محمد ابن الجعد، عن الزهرى وعلى بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس ومحمد بن الجعد ضعفه الأزدى اهـ. وعقب مرتضى: ومحمد بن كثير ذكره الذهبى فى ذيل الديوان، وقال: يروى عن أبى الزناد مجهول، وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس: من جاءه أجله وهو يطلب العلم لقى الله لم يكن بينه وبين النبيين إلا درجة النبوّة .وأخرجه الخطيب من رواية سعيد بن المسيب، عن ابن عباس: من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام لم يفضله إلا النبيون. **وقال العراقى:** ويروى من حديث أبى الدرداء، ورواه أبو نعيم فى كتاب فضل العالم العفيف من رواية عبد الله بن زياد عن على بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ : « من طلب بابًا من العلم ليحيى به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة واحدة فى الجنة » وابن جدعان مشهور بالضعف وعبد الله بن زياد البحرانى قال فيه الذهبى: لا أدرى من هو اهـ. **قال مرتضى:** وقد أخرجه كذلك ابن النجار فى تاريخه، **وقال العراقى:** ويروى من حديث أنس رواه سليم الرازى فى الترغيب والترهيب ولفظه: « من طلب - يعنى العلم - حتى يأتيه الموت لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة وإسناده ضعيف اهـ. **قال مرتضى:** تقدم أن ابن النجار أخرجه من رواية الحسين عن أنس، وقال ابن عبد البر: ومنهم من رواه عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة وعن أبى ذر، ومنهم من يرسله عن سعيد، وذكر أبو نعيم أنه يروى من حديث معاوية بن حيدة أيضا ولم يوصل إسناده، والحديث مضطرب الإسناد جدًا اهـ.

وقال الشـافعى ﷺ : طلب العلم أفضل من النافلة. وقـال ابن عبد الحكم رحـمه الله: كنت عند مالك أقـرأ عليه العلم فدخـل الظهر فجمـعت الكتب لأصلى ؛ فقـال: يا هذا، ما الذى قمت إليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية.

وقـال أبو الدرداء ﷺ: من رأى أن الغدو إلى طلب العـلم ليس بجهـاد فقـد نقص فى رأيه وعقله .

★ ★ ★

فضيلة التعليم

أما الآيات فقوله عز وجل: ﴿ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة: ١٢٢).
والمراد هو التعليم والإرشاد.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ (آل عمران: ١٨٧)، وهو إيجاب للتعليم.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٤٦) وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى في الشهادة: ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٣).

وقال ﷺ: « ما آتى الله عالمًا علمًا إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه » (٤٢).

---

(٤٢) حديث: «ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبينه للناس ولا يكتمه» **قال العراقى:** يروى عن أبى هريرة وابن مسعود، أما حديث أبى هريرة فرويناه فى جزء ابن نظيف وفى فوائد الخلعى من طريقه من رواية موسى بن محمد عن زيد بن مسور عن ابن المسيب عن أبى هريرة رفعه، وفيه: أن لا يكتم، وموسى بن محمد البلقاوى كذبه أبو زرعة وأبو حاتم وغيرهما ورواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية من طريقه وأعله به، وقد رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية عبد الملك بن عطية عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن أبى هريرة، وعبد الملك بن عطية قال فيه الأزدى: ليس حديثه بالقائم، وأما حديث ابن مسعود فرواه أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من رواية عبد الله بن صالح، عن محمد بن عبد الله الموصلى، عن الأعمش، عن إبراهيم ،عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليس من عالم إلا وقد أخذ الله عليه ميثاقه يوم أخذ ميثاق النبيين » وعبد الله بن صالح مختلف فى الاحتجاج به .ا هـ . **قال مرتضى:** أما حديث أبى هريرة فقد أخرجه العراقى فى جزء له ألفه فى الذب عن مسند الإمام أحمد وساق سنده إلى محمد بن الفضل بن نظيف أخبرنا أحمد بن الحسين الرازى، أخبرنا بكر بن سهل الدمياطى، حدثنا موسى ابن محمد فذكره، ثم قال: موسى بن محمد هو البلقاوى متهم، لكن له شاهد بإسناد صالح من حديث ابن مسعود رويناه فى كتاب فضل العالم العفيف لأبى نعيم، وقال تلميذه الحافظ ابن حجر فى القول المسدد بعد أن نقل كلام شيخه هذا: احتجاجه بهذا الحديث واعترافه=

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ (فصلت : ٣٣) .

وقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ (النحل : ١٢٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (آل عمران : ١٦٤) .

وأما الأخبار، فقوله ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن: « لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من الدنيا وما فيها » (٤٣) .

= بأن موسى البلقاوى متهم، أى أن الحفاظ اتهموه بالكذب، لا يصح لأنه لذلك لا يحتج بحديثه، وقد أخرج أبو نعيم فى الحلية هذا الحديث من وجه آخر عن أبى هريرة وفيه من لا يعرف وهو من رواية محمد بن عبدة القاضى، وكان يدّعى سماع ما لم يسمع وهو مشهور. انتهى كلام الحافظ . وقد أورد الديلمى فى الفردوس هذا الحديث عن أبى هريرة وساقه ثم قال: وفى الباب عن ابن عباس وعلى بن أبى طالب ، ولفظ الأخير: « ما أخذ الله ميثاق الجاهل أن يتعلم حتى أخذ ميثاق العالم أن يعلمه» .

(٤٣) حديث: « . . . من الدنيا وما فيها » وفى نسخة: خير لك من حمر النعم. **قال العراقى**: رواه أحمد فى مسنده قال: حدثنا حيوة بن شريح حدثنى بقية حدثنى ضبارة بن عبد الله عن دريد بن نافع عن معاذ بن نافع عن معاذ بن جبل أن النبى ﷺ قال له: « يا معاذ، لأن يهدى الله على يديك رجلا من أهل الشرك خير لك من أن تكون لك حمر النعم» وإسناده منقطع لأن دريد بن نافع لم يسمع من أحد من الصحابة، إنما أرسل عنهم اهـ. **وقال العراقى**: وفى الباب عن سهل ابن سعد رواه البخارى ومسلم والنسائى من رواية أبى حازم عن سهل بن سعد فى قصة بعث النبى ﷺ على بن أبى طالب إلى خيبر، وفى آخره: « فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم » اهـ. **قال مرتضى**: ولفظ البخارى فى الصحيح: حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن أبى حازم أخبرنى سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»، فذكر الحديث فى طلبه عليا وإعطائه الراية وفيه، فقال على: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال: « اقعد على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدى بك رجلا واحدا خير لك من أن تكون لك حمر النعم» وأخرج الطبرانى والترمذى الحكيم عن أبى رافع قال: بعث رسول الله ﷺ عليا إلى اليمن فعقد له لواء فلما مضى قال: « يا أبا رافع، الحقه ولا تَدْعه من خلفه وليقف ولا يلتفت حتى أجيئه»، فأتاه فأوصاه بما شاء وقال: لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت »، قال البيهقى: فيه يزيد بن أبى زياد مولى ابن عباس ذكره المزى فى=

وقال ﷺ: « **من تعلم بابًا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقًا** » (٤٤).

وقال عيسى عليه السلام: من علم وعمل وعلَّم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السماوات .

وقال رسول الله ﷺ : « **إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين: ادخلوا الجنة ، فيقول العلماء: بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا، فيقول الله عز وجل: أنتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة** » (٤٥) وهذا إنما يكون بالعلم المتعدى بالتعليم لا العلم اللازم الذى لا يتعدى .

= الرواية عن أبى رافع وابن حبان في الثقات وأخرج أبو داود عن سهل بن سعيد بلفظ: « والله لأن يهدى بهداك رجل خير لك من حمر النعم » .

(٤٤) حديث: « من تعلم بابًا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقًا » **قال العراقى**: رواه الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى عبد الله الحاكم، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا جعفر بن سهل المذكور، حدثنا محمد بن مروان الأميدى، حدثنا الجارود بن يزيد، حدثنا محمد بن علاثة القاضى، حدثنا عبدة بن أبى أمامة، عن الأسود بن زيد، عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « من تعلم بابًا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر سبعين نبيا » .كذا قال نبيا، وهو منكر، وجعفر بن سهل والجارود ابن يزيد كذابان، ومحمد بن عبد الله بن علاثة القاضى مختلف فى الاحتجاج به .اهـ. قال مرتضى: وفى الفردوس الديلمى عن أنس: من تعلم باباً من العلم وعمل به حشره الله يوم القيامة مع المتقدمين الأخيار الأبرار الأتقياء، وله فى الجنة سبعون قهرمانا. قال العراقى: وللطبرانى فى المعجم الكبير من رواية يوسف بن عطية قال: حدثنا مرزوق أبو عبد الله الحمصى عن مكحول عن أبى أمامة رفعه: «أيما ناشئ نشأ فى طلب العلم والعبادة حتى يكبر، أعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنين وسبعين صديقا»، ويوسف بن عطية الصفار منكر الحديث، ورواه الطبرانى فى مسند الشاميين من رواية أبى سنان الشامى عن مكحول مقتصراً على ذكر العبادة، وقال: « أجر تسعة وتسعين صديقا» وأبو سنان هو الغسملى، مختلف فيه.

(٤٥) حديث: « إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين: ادخلوا الجنة، فيقول العلماء: بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا، فيقول الله تعالى: أنتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا، فيشفعون ثم يدخلون الجنة» **قال العراقى**: رواه المرهبى فى العلم عن رواية محمد بن السائب عن أبى صالح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ :« إذا كان يوم القيامة يجمع الله العلماء والغزاة والمرابطين وأهل الصوم والصلاة والزكاة والحج، فيقول للمرابطين والغزاة وأصناف الخير: ادخلوا الجنة فيصيح العلماء صيحة واحدة فيقولون: يا ربنا، بفضل علمنا جاهدوا ورابطوا وصاموا وصلوا وزكوا وحجوا، فيقول الله عز وجل: لستم عندى فى عداد=

وقـال ﷺ : « إن الله عز وجل لا ينتـزع العلم انتزاعًا من الناس بعـد أن يؤتيهم إياه ، ولكن يذهب بذهاب العلمـاء، فكلما ذهب عـالم ذهب بما مـعه من العلم، حـتى إذا لـم يبق إلا رؤساء جهالاً إن سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويُضلون » (٤٦) .

= أولئك، أنتم عندى فى عداد الملائكة، قفوا حتى تشفعوا لمن أحببتم ثم تدخلوا الجنة»، ومحمد ابن السائب الكلبى ضعيف جدا، ورواه ابن السنى مختصرا فى رياضة المتعلمين من رواية حبيب ابن أبى حبيب، حدثنا شبل بن عباد عن محـمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رفعه: « يبعث العالم والـعابد، فيـقال للعـابد: ادخل الجنة، ويقال للعـالـم: اثبت تشفـع للناس كما أحـسنت أدبهم»، وحبيب بن أبى حبـيب هو كاتب مالك، كذبه ابن معين وغيره. وقـد رواه ابن عبد البر فى العلم، فـقال فيـه حبـيب بن إبراهيم قال: حـدثنا شبل بن العـلاء عن محمـد بن المنكدر، والصواب ما تقدم من أنه شـبل بن عباد وهو القارئ المكى وقد أخرج له البـخارى، وحبيب بن إبراهيم هو كاتب مالك واسم أبيه إبراهيم على أحد الأقوال، وقيل: مرزوق، وقيل: زريق اهـ . وقـال مـرتضى: وحديث جابر هذا قـد أخرجه أيضا ابن عـدى فى الكامل والبيهقى وضـعفه، قـال العـراقى: وروى الأصبـهانى فى الترغـيب والترهيب من طريق ابن أبى عـاصم، حدثنا الحلوانى، حدثنا حازم بن خـزيمة عن عثمان بن عـمر القرشى عن مكحول عن أبى أمامـة رفعه «يجاء بالعالم والـعابد، فيقال للعـابد ادخل الجنة، ويقال للعالم: قف حتى تشـفع للناس وحازم ابن خزيمة هو أبو خزيمة البخارى، قال السليمانى: فيه نظر. قال مرتضى: ورواه ابن جريج عن عطاء، عن ابن عباس بلفظ «إذا كان يوم القيامة يؤتى بالعـابد والفقيه فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للفقيه: اشفع تشفع»، ويروى أيضا إذا كـان يوم القيامة يقول الله للعابد: ادخل الجنة فإنما كانت منفعتك لنفسك، ويقال للعالم: اشفع تشفع فإنما كانت منفعتك للناس انتهى. اهـ.

(٤٦) حـديث: « إن الله لا ينزع العلم انتـزاعـا من الناس بعـد أن يؤتيهـم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء، فكلما ذهب عالم ذهب بما معـه من العلم، حتى إذا لم يُبق إلا رؤساء جهالا إن يسألوا أفتوا بغيـر علم فيضلون ويُضلون» قال العـراقى: أخرجه الستـة خلا أبا داود من رواية عروة، عن عبد الله بن عـمرو بن العاص رفعـه ولفظهم « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينـتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فـضلوا وأضلوا» لفظ مسلم، وقال البخارى: من العبـاد ، بدل من الناس، وقال: حتى إذا لم يُبق، وفى رواية له: « إن الله لا ينتزع العلم بعـد أن أعطاكموه انتزاعا ولكـن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون » ، وفى لفظ لمسلم: « إن الله لا ينزع العلم انتزاعا ولكن يقبض العلمـاء فينتزع العلم معهم ويُبقى فى الناس رؤساء جهالا يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون»، وفى رواية لعبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة: «إن الله لا ينتزع العلم من الناس بعد أن يعطيهم إياه ولكن يذهب بالعلماء كلما ذهب عالم ذهـب بما معـه من العلم حـتى يبقى من لا يعلم، فـيضلوا ويضلوا» . رواه النسـائى اهـ.=

وقال ﷺ : «من علم علمًا فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» (٤٧).

= وقال مرتضى: ورواه الإمام أحمد في مسنده وسياقه كسياق البخارى، وزاد الترمذى: حسن صحيح، وأخرجه الخلعى فى فوائده وزاد فى آخره: عن سواء السبيل وأخرجه ابن عساكر برواية يحيى بن يحيى بن عبد الرحمن عن عباد بن عباد ومن طريق هشام بن عمار عن عبد الله بن الحرث الجمحى كلاهما عن هشام بن عروة عن أبيه، وقال الحافظ بن حجر: قد اشتهر هذا الحديث من رواية هشام فوقع لنا من رواية أكثر من سبعين نفسا عنه .اهـ. قال مرتضى: منها ما أخرجه البخارى فى العلم، عن أبى أويس، عن مالك عن هشام، ورواه مسلم فى القدر، عن قتيبة ، عن جرير ، وعن أبى الربيع الزهرانى، عن حماد بن زيد، وعن يحيى بن يحيى، عن عباد بن عباد وأبى معاوية، وعن أبى بكر بن أبى شيبة، وزهر بن حرب كلاهما، عن وكيع، وعن أبى كريب، عن أبى عبد الله بن إدريس وأبى أسامة وعبد الله بن نمير وعبدة بن سليمان، وعن ابن أبى عمر، عن سفيان بن عيينة، وعن محمد بن حاتم، عن يحيى بن سعيد، وعن أبى بكر بن نافع، عن عمر بن على المدينى، وعن عبد بن حميد، عن يزيد بن هارون، عن شعبة الثلاثة عشر كلهم . عن هشام، ويروى أيضا من حديث عائشة وأبى هريرة وأبى سعيد، فحديث عائشة عند البزار من رواية يونس عن الزهرى عن عروة عنها وقال: تفرد به يونس، وأما حديث أبى هريرة فعند الطبرانى فى الأوسط من رواية العلاء بن سليمان الرقى عن الزهرى عن أبى سلمة عنه، وقال: تفرد به العلاء، وأما حديث أبى سعيد فرواه الطبرانى فيه أيضا من رواية عمرو بن الحرث عن دراج عن أبى الهيثم عنه، وقال: تفرد به الحجاج بن رشدين عن أبيه عن عمرو بن الحرث، وقد جمع فى طرق هذا الحديث الحافظ أبو بكر الخطيب جزءاً حافلا .

(٤٧) حديث: «من علم علمًا فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» يروى هذا عن أبى هريرة وعبد الله بن عمرو وأبى سعيد وأنس بن مالك وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وطلق بن على وجابر ولايصح منها إلا حديث أبى هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس، ولم أره بلفظ المصنف إلا فى تاريخ بن النجار عن ابن عمرو إلا أن فيه: ثم كتمه، أما حديث أبى هريرة فقال العراقى: رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من رواية على بن الحكم عن عطاء بن أبى رباح عنه رفعه ولفظه: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» لفظ أبى داود، وقال الترمذى: «من سئل عن علم علمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار، وقال: حديث حسن، وقال ابن ماجه: « ما من رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار»، وقال ابن حبان: من كتم علما يلجم بلجام من نار يوم القيامة»، ورواه الحاكم فى المستدرك من رواية القاسم بن محمد بن حماد عن أحمد بن عبد الله ابن يونس عن محمد بن نور عن ابن جريج، قال: جاء الأعمش إلى عطاء فسأله عن حديث فحدثه فقلنا له: تحدث هذا وهو عراقى، فقال: لأنى سمعت أبا هريرة يحدث عن النبى ﷺ قال: « من سئل عن علم فكتمه جىء به يوم القيامة ملجما بلجام من نار»، وقال: هذا حديث حسن صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال العراقى: لا يصح من هذا الطريق لضعف =

= القاسم بن محمد بن حماد الدلال الكوفي، قال الدارقطني: حدثنا عنه وهو ضعيف ، فلهذا لم أخرجه من هذا الوجه، قال الدارقطني: في الجزء السابع من الأفراد: وإنما يعرف هذا من حديث علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة، ثم قال الحاكم: ذاكرت شيخنا أبا علي بهذا الباب ثم سألته: هل يصح شيء من هذه الأسانيد عن عطاء؟ فقال: لا، قلت: لمَ؟ قال: لأن عطاء لم يسمعه من أبي هريرة، ثم رواه أبو علي عن محمد بن أحمد بن سعيد الواسطي عن أزهر بن مروان عن عبد الوارث بن سعيد عن علي بن الحكم عن عطاء عن رجل عن أبي هريرة، قال الحاكم: فقلت له: قد أخطأ فيه أزهر بن مروان أو شيخكم وغير مستبعد منهما الوهم، ثم رواه الحاكم من رواية مسلم بن إبراهيم عن عبد الوارث عن علي بن الحكم عن رجل عن عطاء عن أبي هريرة: قال: فاستحسنه أبو علي واعترف لي به، قال الحاكم: ثم لما جمعت الباب وجدت جماعة ذكروا فيه سماع عطاء من أبي هريرة اهـ. **وقال العراقي في إصلاح المستدرك** : وقد رواه أبو داود الطيالسي؛ فقال: حدثنا عمارة بن زاذان حدثنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة رفعه «من حفظ علما فسئل عنه فكتمه جيء به يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار»، وقال: هذا حديث حسن أخرجه الترمذي عن أحمد بن بديل اليامي عن عبد الله بن نمير، وابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن أسود بن عامر كلاهما عن عمارة بن زاذان. وقد تابع عمارة عليه حماد ابن سلمة أخرجه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عنه وأخرجه ابن حبان في النوع التاسع والمائة من القسم الثالث عن عبد الله بن محمد الأزدي عن إسحق بن إبراهيم عن النضر بن شميل عنه وتابع علي بن الحكم على روايته سليمان التيمي وابن جريج، **قال العراقي**: قد أعلّه أبو الحسن القطان في كتاب بيان الوهم والإيهام برواية عبد الوارث وإدخاله رجلا بين علي بن الحكم وعطاء قال: وقد قيل إنه حجاج بن أرطاة **وقال مرتضى**: قد صح عن علي بن الحكم أنه قال في هذا الحديث حدثنا عطاء وهي رواية ابن ماجه فاتصل إسناده ثم وجدته عن جماعة صرحوا بالاتصال في الموضعين رويناه في الجزء السادس والعشرين من فوائد تمام من رواية معاوية بن عبد الكريم والعلاء بن خالد الدارمي وسعيد بن راشد، قالوا: حدثنا عطاء قال: سمعت أبا هريرة قال: ابن القطان واعلم أن له إسنادًا صحيحًا، ثم ذكره من طريق قاسم بن أصبغ من رواية معتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء عن أبي هريرة قال ابن القطان هؤلاء كلهم ثقات، قال العراقي: وله طريق آخر صحيح من رواية ابن سيرين عن أبي هريرة أورده ابن ماجه، وقال الحافظ ابن حجر في القول المسدد والحديث وإن لم يكن في نهاية الصحة لكنه صالح للحجة، وهو على كل حال أولى من حديث البلقاوي يعني الذي تقدم ذكره وأما حديث ابن عمرو **فقال العراقي**: رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك، فابن حبان من طريق أبي الطاهر بن السرح والحاكم من رواية ابن عبد الحكم كلاهما عن ابن وهب عن عبد الله بن عياش عن أبيه عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو رفعه ولفظه « من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»، قال الحاكم هذا إسناد صحيح لا غبار عليه من حديث المصريين على شرط الشيخين وليس له علة، قال العراقي في إصلاح المستدرك: أما على شرط الشيخين فلا، وقد أعله ابن الجوزي في العلل المتناهية بأن فيه عبد الله بن وهب النسوب، قال ابن حبان: دجال يضع الحديث،=

وقال ﷺ : « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها، ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها ، تعدل عبادة سنة» (٤٨) ، وقال ﷺ : « الدنيا ملعونة، ملعون

= قال العراقى: وهذا تخليط من ابن الجوزى، وإنما هو عبد الله بن وهب الإمام صاحب الإمام مالك والإسناد مصريون فلا التفات إلى كلام ابن الجوزى ولو أعله بعبد الله بن عياش لكان له وجه فقد ضعفه أبو داود والنسائى، وهو قريب من ابن لهيعة وأخرج له مسلم حديثًا واحدًا ووثقه ابن حبان وقال مرتضى: وحديث ابن عمرو هذا قد أخرجه الطبرانى أيضًا فى الكبير وأما حديث أبى سعيد الخدرى، فقال العراقى: رواه ابن ماجه من رواية محمد بن داب عن صفوان بن سليم عن عبد الرحمن بن أبى سعيد عن أبيه رفعه ولفظه « من كتم علما مما ينفع الله به من أمر الناس فى الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » ومحمد بن داب كذبه أبو زرعة اهـ. قال مرتضى: وفى بعض نسخ السنن مما ينفع الله به الناس من أمر الدين وأما حديث أنس قال العراقى: رواه ابن ماجه أيضًا من رواية يوسف بن إبراهيم قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من سئل عن علم فكتمه. . .» الحديث ويوسف هذا ضعفه أبو حاتم والبخارى اهـ. وقال مرتضى: وأخرج ابن عدى عن أنس « من كتم علمًا عنده وأخذ عليه أجرة لقى الله يوم القيامة ملجما بلجام من نار » وأما حديث ابن مسعود فرواه الطبرانى بإسنادين ضعيفين . قاله العراقى، وقال مرتضى: ولفظه: « من كتم علما عن أهله ألجم يوم القيامة لجاما من نار» هذا لفظ أبى داود، وعند ابن عدى فى الكامل والسجزى فى الإبانة والخطيب فى التاريخ « من كتم علما ينتفع به ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»، وأما حديث ابن عباس فرواه الطبرانى أيضا بإسناد لا بأس به وأبو يعلى بإسناد جيد، قاله العراقى، وقال مرتضى: ولفظه: « من كتم علما ينتفع به يعلمه . . . » الحديث وفى آخره زيادة ذكرناها فى أول الفصل عند ذكر الآيات، وأخرج ابن عساكر والخطيب والطبرانى أيضا بلفظ: « من سئل عن علم نافع فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار»، وأما حديث ابن عمر فقال العراقى: رواه ابن عدى فى الكامل من رواية حسان بن سياء عن الحسن بن ذكوان عن نافع عن ابن عمر، وقال: هذا الحديث عن نافع لا أعلم يروى إلا من هذا الوجه، وحسان بن سياء له أحاديث عامتها لا يتابعه غيره عليها والضعف بيّن على رواياته وحديثه اهـ. قال مرتضى: وأخرجه كذلك الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى فى الأفراد بلفظ حديث أبى هريرة، وأما حديث طلق بن على فقال العراقى: رواه ابن عدى أيضا والطبرانى من رواية أيوب بن عتبة عن قيس بن طلق عن أبيه، قال ابن عدى: وهذا الحديث بهذا الإسناد غريب جدا، وأيوب ضعيف، قاله ابن معين والبخارى اهـ. قال مرتضى: وأخرجه الخطيب أيضا من هذا الطريق، وأما حديث جابر فأخرجه السجزى فى الإبانة والخطيب فى التاريخ بلفظ « من كتم علما نافعا عنده . . .» إلخ . وهذا قد أغفله العراقى كما أغفل فى مخرجى حديث أبى هريرة الإمام أحمد والبيهقى .

(٤٨) حديث: « نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها، ثم تحملها إلى أخ لك مسلم فتعلمه إياها تعدل عبادة سنة » قال العراقى: رواه ابن عدى فى العلم من حديث ابن عباس=

ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه ، أو معلمًا أو متعلمًا » (٤٩) .

وقال ﷺ : « إن الله سبحانه وملائكته وأهل سماواته وأرضه حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير » (٥٠)، وقال ﷺ : « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلّغه » (٥١) ،

= بهذا اللفظ ولم يذكر إسناده، وقد أسنده الطبرانى فقال: حدثنا حجاج بن عمران السدوسى كاتب بكار القاضى حدثنا عمرو بن الحصين العقيلى حدثنا إبراهيم بن عبد الملك السلمى عن قتادة عن عروة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه: « نعم العطية كلمة حق تسمعها ثم تحملها إلى أخ لك فتعلمها إياه» وعمرو بن الحصين تركه أبو حاتم وغيره .

(٤٩) حديث: « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله . . .» **قال العراقى**: رواه الترمذي وابن ماجه من رواية عطاء بن قرة قال: سمعت عبد الله بن حمزة، قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الدنيا . . .» فذكره، وقال: وعالم أو متعلم لفظ الترمذى، وقال: حديث حسن غريب، وقال ابن ماجه: للدنيا، وقال: أو عالما أو متعلما اهـ. **قال مرتضى**: وأخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من طريق وهيب عن عطاء بن قرة السلولى عن عبد الله بن حمزة، ومن طريق إبراهيم الأسلمى عن رجل عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبى هريرة ولم يذكر قتيبة يعنى شيخه فى الإسناد الأول عن أبى هريرة وسياقه كسياق المصنف إلا أنه ليس فيه: وما والاه قال المناوى: وعالما ومتعلما، بنصبهما عطفًا على ذكر الله، ووقع للترمذى: وعالم ومتعلم، لا لكونهما مرفوعين لأن الاستثناء من موجب، بل إن طريقة كثير من المحدثين إسقاط الألف. اهـ . وفيه تأمل. **قال العراقى**: وفى الباب عن ابن مسعود ذكره الدارقطنى فى العلل فقال: « رواه أبو المطرف مغيرة بن مطرف عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن عبدة بن أبى أمامة عن شقيق عن عبد الله رفعه: « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا عالم أو متعلم وذكر الله » وقال: هذا إسناد مقلوب، وإنما رواه ابن ثوبان عن عطاء عن ابن ضمرة عن أبى هريرة، وهو الصحيح .

(٥٠) حديث: « إن الله وملائكته وأهل سماواته وأرضه، حتى النملة فى جحرها، وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلّم الناس الخير» **قال العراقى**: أخرجه الترمذى من رواية القاسم عن أبى أمامة رفعه فذكره ولم يقل: فى البحر، وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح، وقد تقدم، وقد فصله الطبرانى منه فجعلهما حديثين، وقال فيه: وحتى الحوت فى البحر، كما ذكره المصنف، إلا أنه لم يقل: وأهل السماوات والأرض، ويروى عن أبى هريرة أيضا، **وقال مرتضى**: وحديث أبى هريرة أخرجه الطبرانى فى الكبير أيضا والضياء فى المختارة وسياقه كسياق حديث أبى أمامة.

(٥١) حديث: « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغَه فبلّغه» **قال العراقى**: رواه ابن عبد البر مع اختلاف، مرسلا من حديث محمد بن المنكدر عن النبى ﷺ قال: « من أفضل =

وقال ﷺ: « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة » (٥٢).

وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين: أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه، والثانى يعلمون الناس، فقال: « أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بُعثت معلمًا، ثم عدل إليهم وجلس معهم » (٥٣).

= الفوائد حديث حسن يسمعه الرجل فيحدث به أخاه »، و هو مرسل حسن الإسناد، قال: ابن عيينة لم يدرك أحدا أجدر من أن يقبل الناس منه إذا قال: قال رسول الله ﷺ من ابن المنكدر، وروى أبو نعيم من رواية إسماعيل بن عياش عن عمارة عن غزية عن عبيد الله بن أبى جعفر عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة حكمة تزيده هدى أو ترده عن ردى »، ورويناه من طريق أبى يعلى الموصلى من هذا الوجه وهو منقطع، فإن عبيد الله بن أبى جعفر المصرى لم يسمع من عبد الله بن عمرو شيئا إنما روى عن التابعين اهـ. **قال مرتضى:** وأخرجه البيهقى فى الشعب، وتعقبه بأن فى إسناده إرسالا بين عبيد الله وعبد الله، وأورده الديلمى فى الفردوس بهذا اللفظ والضياء فى المختارة ولفظه « ما أهدى المرء المسلم لأخيه هدية » وفيه: « يزيده الله بها هدى أو يرده بها عن ردى »، وقال الذهبى فى الديوان: عبيد الله بن أبى جعفر قال أحمد: ليس بالقوى، قال المناوى: وفى إسناده أيضا إسماعيل بن عياش قالوا: ليس بالقوى، وعمارة بن غزية ضعفه ابن حزم لكنه خولف، وفى معنى الحديث قيل: كلمة لك من أخيك خير لك من مال، لأن الحكمة تنجيك والمال يطغيك.

(٥٢) حديث: « كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها » وفى بعض النسخ كلمة: من الحكمة، وسقطت الجملة الأخيرة من أكثر النسخ. **قال العراقى:** رواه الديلمى فى مسند الفردوس من رواية محمد بن محمد بن على بن الأشعث، حدثنا شريح بن عبد الكريم التميمى، حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن محمد بن أبى عائشة عن أبى هريرة رضي الله عنه رفعه فذكره دون قوله: فيعمل بها ويعلمها، وابن الأشعث هذا من الشيعة رماه ابن عدى والدارقطنى بالوضع، ورواه ابن المبارك فى الزهد والرقائق مرسلا فقال: أخبرنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره وعبد الرحمن بن زيد ضعفه أحمد وأبو داود والنسائى وغيرهم اهـ. **قال مرتضى:** ورواه الديلمى أيضا عن أبى هريرة « كلمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير من عتق رقبة ».

(٥٣) حديث: « وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله ويرغبون إليه، والثانى يعلمون الناس، فقال: « أمّا هؤلاء فيسألون الله إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأمّا =

وقال ﷺ: « مَثل ما بعثني الله عز وجل به من الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ» (٥٤) . فالأول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه، والثاني ذكره مثلا للنافع، والثالث للمحروم منهما .

= هؤلاء فيعلمون الناس، وإنما بعثت معلما ثم عدل إليهم وجلس معهم»، هكذا أورده صاحب القوت بلا إسناد إلا أن فيه: والآخر يتفقهون في الدين ويعلّمون الناس فوقف بينهما، وقال العراقي: رواه ابن ماجه من رواية داود بن الزبرقان عن بكر بن خنيس عن عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين، أحدهما (كذا) يقرءون القرآن ويذكرون الله، والآخر (كذا) يتعلمون ويعلمون، فقال النبي ﷺ: « كلٌ على خير ؛ هؤلاء يقرءون القرآن ويدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلمون وإنما بعثت معلما وجلس معهم » . ومداره على عبد الرحمن بن زياد وقد وثقه يحيى بن سعيد وقال البخاري: مقارب الحديث، وضعفه جماعة، وابن الزبرقان وبكر بن خنيس ضعيفان، وقد تابع بكر بن خنيس عليه زهير بن معاوية وعبد الله بن وهب وعبد الله بن المبارك إلا أنهم قالوا عنه عن عبد الرحمن بن رافع بدل عبد الله بن يزيد وقولهم أولى بالصواب من رواية بكر بن خنيس؛ فأما رواية زهير فأخرجها الطبراني ولفظه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فرأى مجلسين أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمون، فقال رسول الله ﷺ: «كلا المجلسين على خير أحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلما وهؤلاء أفضل» فأتاهم حتى جلس إليهم. وأما رواية عبد الله بن وهب فرواها ابن السنى فى رياضة المتعلمين، وابن عبد البر فى العلم بنحو لفظ الطبراني، وأما رواية ابن المبارك فرواها أبو نعيم فى رياضة المتعلمين نحوه. وعبد الرحمن بن رافع هذا قال البخاري: فى حديثه مناكير، وذكره ابن حبان فى الثقات إلا أنه قال: لا يحتج بخبره إذا كان من رواية ابن أنعم عنه .ا هـ . وقال صاحب القوت بعد ما أورد الحديث: ويحكى عن بعض السلف قال: دخلت المسجد ذات يوم فإذا بحلقتين إحداهما يقصون ويدعون، والأخرى يتكلمون فى العلم وفقه الأعمال، قال: فملت إلى حلقة الدعاء فجلست إليهم فحملتنى عيناى فنمت فهتف بى هاتف: جلستَ إلى هؤلاء وتركت مجلس العلم، أما لو جلست إليهم لوجدت جبريل عليه السلام عندهم .

(٥٤) حديث: « مَثل ما بعثني الله به من العلم والهُدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله بها الناس شربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ» هكذا فى=

وقال ﷺ: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به...»(٥٥) الحديث.

= النسخ، وفى نسخة بعد قوله: « فأنبتت الكلأ والعشب وتصيب أرضا أخرى، إنما هى أجادب أمسكت الماء ولم تنبت الكلأ، فحمل الناس عنها الماء إلى غيرها فزرعوا عليها وسقوا وأسقوا، وكانت منها بقعة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ». ونسخة العراقى بعد قوله: « والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه بما بعثنى الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به ». **قال العراقى**: رواه البخارى ومسلم من رواية بريد بن عبد الله بن أبى بردة عن جده أبى بردة عن أبى موسى عن النبى ﷺ: واللفظ للبخارى إلا أنه قال: من الهدى والعلم، وقال فى الرواية المشهورة: نقية بدل بقعة ولم يقل فى الثانية: بقعة، وقال: وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان، وذكر بقية الحديث اهـ. **قال مرتضى**: البخارى فى أول صحيحه ومسلم فى فضائله ﷺ والنسائى فى العلم والرامهرمزى والعسكرى فى الأمثال، كلهم من رواية أبى أسامة حماد بن أسامة عن بريد، ولفظ البخارى « مثل ما بعثنى الله به من الهدى و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة أخرى منها إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » .

(٥٥) حديث: « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: علم ينتفع به، أو صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له» **قال العراقى**: رواه مسلم وأبو داود والترمذى، وقال: حسن صحيح، والنسائى من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة رضي الله عنه رفعه « إذا مات الإنسان . . . »، وفيه تقديم صدقة جارية والباقى سواء اهـ. **وقال مرتضى**: خرجه مسلم فى الوصايا والبخارى فى الأدب المفرد ورواه الدارمى عن موسى بن إسماعيل حدثنا إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن ولفظه «انقطع من عمله . . .» وباقى سياقه كسياق المصنف، إلا أنه قال: تجرى له بدل جارية، **قال العراقى**: وفى الباب عن جابر وأبى قتادة وأبى أمامة وأنس، فحديث أنس رواه أبو نعيم فى رياضة المتعلمين من رواية القاسم بن عبد الله عن محمد بن المنكدر عن جابر رفعه «ثلاثة يدركون الميت رجل علم سنة هدى وعمل بها. . .» الحديث، وحديث أبى قتادة رواه ابن ماجه من رواية زيد بن أبى أنيسة عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه رفعه « خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجرى يبلغه أجرها، فعمل يعمل به من بعده »، وإسناده جيد وزاد بين الزيدين فى رواية فليح بن سليمان اهـ. **وقال مرتضى**: وأخرجه أيضا هكذا ابن خزيمة فى صحيحه، وابن حبان والطبرانى فى الكبير والضياء فى المختارة، ولفظهم « خير ما يخلف الإنسان بعده . . .»، **قال العراقى**: وحديث أبى أمامة رواه أحمد من رواية ابن لهيعة عن خالد بن أبى عمران عمن حدثه عن أبى أمامة رفعه «أربعة=

وقال ﷺ : « الدال على الخير كفاعله » (٥٦) .

= تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: مرابط فى سبيل الله، ومن علم علما فأجره يجرى عليه ما عمل به . . . » الحديث، قلت: تمامه « ومن تصدق بصدقة فأجرها يجرى ما وجدت، ورجل ترك ولدا صالحا فهو يدعو له»، وقد أخرجه كذلك الطبرانى فى الكبير والبزار فى مسنده، وأعله الهيثمى وغيره بابن لهيعة ورجل لم يسم، ولكن صححه المنذرى، **قال العراقى:** وحديث أنس رواه أبو نعيم فى الحلية من رواية محمد بن عبيد الله المزرمى عن قتادة عن أنس رفعه « سبع يجرى أجره للعبد بعد موته وهو فى قبره: من علم علما أو كرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ورث مصحفا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته»، قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم راويه عن المزرمى، والمزرمى ضعيف اهـ. **قال مرتضى:** وكذلك رواه البزار فى مسنده وسمويه فى فوائده والديلمى فى الفردوس والبيهقى وقال كالمنذرى إسناده ضعيف، وتبعهما الذهبى فى كتاب الموت والهيثمى، وقد خالفهم السيوطى فرمز لصحته وفيه نظر، ولا تعارض بين الحديث الذى ساقه المصنف وبين حديث أبى أمامة: «أربعة . . . إلخ »، لأن أعمال الثلاث متجددة وعمل المرابط ينمو له وفرق بين إيجاد المعدوم وتكثير الموجود، وكذا لا مخالفة بينه وبين حديث أنس هذا، فقد قال فيه: إلا من صدقة جارية، وهى تجمع ما ذكر من الزيادة أشار له البيهقى، وروى الإمام أبو حنيفة عن حماد بن إبراهيم قال: «ثلاثة يؤجر فيهن الميت بعد موته: ولد له يدعو له بعد موته فهو مؤجر بدعائه، ورجل علم علما يعمل به ويعلمه الناس، فهو يؤجر على ما عمل وعلم، ورجل ترك أرضا صدقة » . هكذا أورده محمد بن الحسن فى الآثار، قال ابن قطلوبغا فى أماليه: وهذا فى حكم المرفوع اهـ. **وقال مرتضى:** والمراد بالولد: الفرع المسلم هبه ذكرا كان أو أنثى أو ولد ولد كذلك وإن سفل، وجاء تقييده فى الحديث الأول بالصالح، وقوله: يدعو له أى بالرحمة والمغفرة، فإن دعاءه أرجى للإجابة وأسرع قبولا من دعاء الأجنبى، وقال الحافظ صلاح الدين العلائى فى مقدمة الأربعين له: لا تعارض بين هذا الحديث وبين ما روى: من استن خيرا فاستن به فله أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئا . . . » الحديث بطوله .

(٥٦) حديث: « الدال على الخير كفاعله » **قال العراقى:** أخرجه الترمذى من رواية شبيب بن بشر عن أنس بلفظ: إن الدال، وقال: حديث غريب، **قال العراقى:** ورجاله ثقات اهـ. **قال مرتضى:** وفى الحديث قصة قال أنس: جاء النبى ﷺ رجل يستحمله فلم يجد ما يحمله فدله على آخر فحمله فأتى النبى ﷺ فأخبره فذكر. **قال العراقى:** ورواه أحمد فى مسنده من رواية سلميان بن بريدة عن أبيه بلفظ حديث أنس بإسناد ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة سليمان الشاذكونى ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح من رواية ابن عمرو الشيبانى واسمه سعد بن إياس عن أبى مسعود البدرى رفعه ولفظه « من دل على خير فله مثل أجر فاعله»، وفى الباب عن سهل بن سعد وابن مسعود اهـ. **وقال مرتضى:** وقد أخرجه كذلك الإمام أحمد وابن حبان وفيه القصة التى تقدمت، وقال السخاوى فى المقاصد: أخرجه العسكرى وابن جميع ومن طريقه المنذرى من حديث طلحة بن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رفعه « كل=

وقال ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير » (٥٧)

= معروف صدقة: والدال على الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان» ومثله بل بطوله الدارقطنى فى المستجاد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به مرفوعا، وللعسكرى من حديث إسحق الأزرق عن أبى حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعا لفظ الترجمة، وكذا هو عند البزار عن أنس ولابن عبد البر عن أبى الدرداء فى قوله « الدال على الخير وفاعله شريكان » اهـ. ثم قال مرتضى: أخرجه أبو القاسم طلحة بن محمد بن جعفر العدل فى مسند أبى حنيفة من طريق صالح بن أحمد بن حنبل وأخرجه ابن خسرو فى مسنده من طريق عبد الله بن أحمد قالا: حدثنا أبى حدثنا إسحق بن يوسف أنبأنا أبو فلان كذا قال أى لم يسمه على عمد وسماه غيره، فقال: يعنى أبا حنيفة عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه بلفظ الترجمة، وفى بعض رواياته قال له: اذهب فإن الدال . . . إلخ . وأخرجه القضاعى أيضا من طريق إسحق بن يوسف الأزرق عن أبى حنيفة به، وأخرج ابن خسرو فى مسنده من رواية أبى حنيفة عن أنس بزيادة: والله يحب إغاثة اللهفان، من طريق تدور على أحمد بن محمد بن الصلت، ورواه العينى فى شرحه على معانى الآثار للطحاوى بسنده وللحديث شاهد آخر مما أخرجه ابن عطاف فى معجمه وابن النجار عن على مرفوعا « دليل الخير كفاعله » .
قال الراغب: والدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشىء. وقال الزمخشرى: دللته على الطريق أهديته إليه، ومن المجاز: الدال على الخير كفاعله ودله على الصراط المستقيم اهـ. ويدخل فى ذلك دخولا أوّليا أولويّا من يعلم الناس العلم الشرعى ويتحملون عنه .

(٥٧) حديث: « لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا وسلطه الله على هلكته فى الحق فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار» قال العراقى: رواه البخارى ومسلم والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية قيس بن أبى حازم قال: سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: قال: رسول الله ﷺ : « لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها» ، وفى رواية البخارى الحكمة اهـ. قال مرتضى: أخرجاه من طريق الزهرى سمعت قيس ابن أبى حازم ومن هذا الطريق أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وابن حبان وأخرجه البخارى فى الاعتصام فقال: إلا فى اثنين بغير تاء، وفى رواية ابن ماجه رجل بالنصب على لغة ربيعة فإنهم يرسمون المنصوب بالنون بغير ألف كما يقفون عليه كذلك، وقال العراقى: فى الباب عن ابن عمر وأبى هريرة وأبى سعيد ويزيد بن الأخنس قلت: بقى أن البخارى رواه فى صحيحه فى مواضع فى التوحيد وفى الاغتباط بالحكمة وفى الزكاة وفى الأحكام وفى الاعتصام وفى فضائل القرآن، ففى التوحيد عن على بن عبد الله عن سفيان عن الزهرى عن سالم عن أبيه مختصرا وساقه مسلم تاما عن زهير بن حرب عن سفيان وأخرجه البخارى فى فضائل القرآن تاما من طريق=

وقال ﷺ : « على خلفائي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك ؟ قال: « الذين يحيون سنتي ويعلّمونها عباد الله » (٥٨)

= الزهرى عن سالم وكذا الترمذى والنسائى فى الكبرى وابن ماجة « ولفظهم « لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به اناء الليل وأناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار «لفظ مسلم، وفى رواية له إلا على اثنين، وهكذا قال البخارى: وقد آتاه الله الكتاب، وقال مسلم: هذا الكتاب والباقى سواء، ومن طريق شعبة عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ومن طريق الأعمش سمعت ذكوان عن أبى هريرة، وفى الزكاة عن محمد ابن المثنى عن يحيى القطان، وفى الأحكام وفى الاعتصام عن شهاب بن عباد عن إبراهيم بن حميد الرودسى وأخرجه مسلم فى الصلاة عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه ومحمد بن بشر، وأخرجه النسائى فى العلم عن إسحق بن إبراهيم بن جرير ووكيع عن سويد بن نصر عن عبد الله بن المبارك خمستهم عن إسماعيل بن أبى خالد عنه به، وأخرجه ابن ماجة فى الزهد عن محمد بن عبد الله بن نمير به، وأما حديث أبى سعيد الخدرى، فقد أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف من رواية الأعمش عن أبى صالح عنه ولفظه « لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار » فسمعه جار له فقال: ليتى أوتيت مثل ما أوتى به فلان فعملت مثل ما يعمل « ورجل آتاه الله مالا فهو يهكله فى الحق »، فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل، وأخرجه كذلك أبو يعلى فى مسنده والضياء فى المختارة، وأخرج أبو نصر فى الصلاة عن عبد الله بن عمرو رفعه « لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقرؤ فى الليل والنهار، ورجل أعطاه الله مالا فأنفقه فى سبيل الله »، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية عن أبى هريرة بلفظ «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله مالا فصرفه فى سبيل الخير، ورجل آتاه الله علما فعلمه وعمل به».

(٥٨) حديث: « على خلفائى رحمة الله» قيل: ومن خلفاؤك؟، قال: « الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله » **قال العراقى**: رواه ابن عبد البر فى العلم والهروى فى ذم الكلام من رواية عمرو بن أبى كثير، وقال الهروى: عمرو بن كثير عن أبى العلاء عن الحسن، زاد الهروى ابن على قال: قال رسول الله ﷺ : « رحمة الله على خلفائى » مرتين ولم يكررها الهروى فجعله الهروى متصلا، وقال ابن عبد البر: إنه من مرسلات الحسن فجعله البصرى وهو الصواب وعمرو لا أدرى من هو، وقد تقدم الكلام عليه، وفى الباب عن على بن أبى طالب رواه الطبرانى فى الأوسط وابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما رياضة المتعلمين، وأبو نعيم أيضا فى فضل العالم العفيف والرامهرمزى فى المحدث الفاصل والهروى فى ذم الكلام من رواية ابن عباس قال: سمعت على بن أبى طالب يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ ، فقال: « اللهم ارحم خلفائى »، قلنا: يا رسول الله، من خلفاؤك ؟ قال: « الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثى وسنتى ويعلمونها الناس»، وفى إسناده أبو الطاهر أحمد بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر ابن على بن أبى طالب، وهو كذاب كما قاله الدارقطنى، وقد رواه ابن عساكر فى أماليه من =

وأما الآثار، فقد قال عمر رضي الله عنه: « من حدَّث حديثًا فعمل به، فله مثل أجر من عمل ذلك العمل » . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « معلم الناس الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر». وقال بعض العلماء: « العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل». وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان؛ فقال: « أكروا لى لأخرج من هذا البلد، هذا بلد يموت فيه العلم » ،وإنما قال ذلك حرصًا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به، وقال عطاء رحمه الله : « دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى، فقلت: ما يبكيك؟ قال: ليس أحد يسألنى عن شيء » . وقال بعضهم: العلماء سرج الأزمنة ، كل واحد مصباح زمانه ، يستضيء به أهل عصره » . وقال الحسن رحمه الله : « لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم » ، أى أنهم بالتعليم يُخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الإنسانية. وقال عكرمة : « إن لهذا العلم ثمنًا ، قيل: وما هو ؟ قال: أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه ». وقال يحيى بن معاذ : العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا، وهم يحفظونهم من نار الآخرة . وقيل : « أول العلم الصمت، ثم الاستماع، ثم الحفظ، ثم

= طريق آخر وفيه عبد السلام بن عبيد نسبه ابن حبان إلى سرقة الحديث، واحتج به أبو عوانة فى صحيحه ولا يغتر برواية أبى المظفر هناد بن إبراهيم النسفى لهذا الحديث من طريق ابن داسة عن أبى داود عن عبيد بن هشام الحلبى فإن هذا لم يروه أبو داود هنا، والنسفى كان راوية للموضوعات كما قال صاحب الميزان اهـ. **قال مرتضى:** أما حديث على فقد أخرجه الخطيب فى شرف أصحاب الحديث، والضياء المقدسى فى مناقب أصحاب الحديث كلاهما من رواية أحمد بن عيسى العلوى حدثنا ابن أبى فديك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن ابن عباس،قال: سمعت عليا يقول: خرج النبى ﷺ فساقه، وأخرجه الضياء من رواية أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائى حدثنى أبى حدثنى أبو الحسن على بن موسى الرضى عن آبائه عن على بلفظ « اللهم ارحم خلفائى » ثلاثا والباقى سواء، وأخرج الخطيب والضياء أيضا من رواية سعيد بن عباس بن الخليل، حدثنا عبد السلام بن عبيد حدثنا ابن أبى فديك فذكره، وفى بعض طرق العلوى عن الخطيب عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس، قال الخطيب: والأول أشبه بالصواب، وقال الطبرانى فى الأوسط بعد ما أخرجه: تفرد به أحمد بن عيسى العلوى، وفى الميزان: هذا الحديث باطل، وأحمد كذاب واستدل بهذا الحديث على جواز إطلاق لفظ الخلفاء على أصحاب الحديث .

العمل، ثم نشره » . وقيل: « علّم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم ما تجهل، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت ، وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ، ورأيته أيضًا مرفوعًا : « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة، والصاحب فى الخلوة، والدليل على الدين ، والمصبّر على السراء والضراء، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة، يرفع الله به أقوامًا فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم، أدلة فى الخير، تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها » (٥٩) لأن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى، والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوعد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع، وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء ، نسأل الله تعالى حسن التوفيق .

---

(٥٩) حديث: « تعلموا العلم فإن تعلمه لله» كذا رواه أبو نعيم فى المعجم ولا يثبت، وحسبه أن يصل إلى معاذ ورواه ابن عبد البر فى العلم من رواية موسى بن محمد بن عطاء القرشى حدثنا عبد الرحيم بن زيد العمى عن أبيه عن الحسن بن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ فذكره . هذا سند المرفوع، وأما سند الموقوف فقال أبو طالب المكى فى الفصل الحادى والثلاثين من القوت، وروينا فى فضل العلم بالله تعالى من رواية رجاء بن حيوة عن عبد الرحمن ابن غنم عن معاذ بن جبل قال: فذكره وأورده أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة معاذ فلم يذكر بين رجاء ومعاذ عبد الرحمن، فقال: حدثنا أبى حدثنا محمد بن إبراهيم بن يحيى حدثنا يعقوب الدورقى حدثنا محمد بن موسى المروزى أبو عبد الله قال: قرأت هذا الحديث على هشام بن مخلد وكان ثقة، فقال: سمعته من ابن عصمة عن رجل سماه عن رجاء بن حيوة عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

في الشواهد العقلية

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال، فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداً حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها ، والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة ، فإذا تشارك شيئان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال: فضله وله الفضل عليه، مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء، كما يقال: الفرس أفضل من الحمار، بمعنى أنه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكرّ والفرّ وشدة العدو وحسن الصورة، فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة في الجسم ونقصان في المعنى، وليست من الكمال في شيء ، والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه، فإذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الأوصاف كما أن للفرس فضيلة إن أخذته بالإضافة إلى سائر الحيوانات، بل شدة العدو فضيلة في الفرس وليست فضيلة على الإطلاق، والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة فإنه وصف كمال الله سبحانه، وبه شرف الملائكة والأنبياء، بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الإطلاق من غير إضافة ، واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره، وإلى ما يطلب لذاته، وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعاً، فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره، والمطلوب لغيره كالدراهم والدنانير فإنهما حجران لا منفعة لهما ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة، والذي يُطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى، والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن، فإن سلامة الرجل منا مطلوبة من حيث إنها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشي بها والتوصل إلى المآرب والحاجات، وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته، ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها وذريعة إلى القرب من الله تعالى ولا يتوصل إليه إلا به، وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية، وأفضل الأشياء هو وسيلة إليها ولن يتوصل إليها إلا بالعلم والعمل، ولا يتوصل إلى

العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ؛ فأصل السعادة فى الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشئ أيضًا بشرف ثمرته، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى ، هذا فى الآخرة ، وأما فى الدنيا فالعزّ والوقار ونفوذ الحكم على الملوك، ولزوم الاحترام فى الطباع حتى أن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة، بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتمييز الإنسان بكمال مجاوز لدرجها هذه فضيلة العلم مطلقا، ثم تختلف العلوم كما سيأتى بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها .

وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طلبًا للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل، وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا، ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا ، فإن الدنيا مزرعة للآخرة ، وهى الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ، ومنزلا لمن يتخذها مستقرا ووطنا ، وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلاثة أقسام :

أحدها : أصول لا قوام للعالم دونها وهى أربعة : الزراعة وهى للمطعم ، والحياكة وهى للملبس ، والبناء وهو للمسكن ، والسياسة وهى للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها .

الثانى: ما هى مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها، كالحدادة فإنها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات بإعداد آلاتها، وكالحلاجة والغزل فإنها تخدم الحياكة بإعداد عملها .

الثالث: ما هى متممة للأصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة ، وكالقصارة والخياطة للحياكة، وذلك بالإضافة إلى قوام أمر العالم الأرضى مثل أجزاء الشخص بالإضافة إلى جملته فإنها ثلاثة أضرب أيضًا ، إما أصولا كالقلب والكبد والدماغ ، وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة ، وإما مكمّلة لها ومزينة كالأظفار والأصابع

والحاجبين ، وأشرف هذه الصناعات أصولها ، وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح، ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها ما لا يستدعيه سائر الصناعات ، ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع ، والسياسة فى استصلاح الخلق وإرشادهم إلى الطريق المستقيم المنجِّى فى الدنيا والآخرة على أربع مراتب :

الأولى : وهى العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعًا فى ظاهرهم وباطنهم .

والثانية : الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعًا، ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم .

والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء، وحكمهم على باطن الخاصة فقط ، ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ، ولا تنتهى قوتهم إلى التصرف فى ظواهرهم بالإلزام والمنع والشرع .

والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط ، فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة ، وهو المراد بالتعليم ، وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الغريزة التى بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية، إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع ، و العقل أشرف من السمع، وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة، وإما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة ، إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة ، وليس يخفى أن العلوم الدينية - وهى فقه طريق الآخرة - إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء ، والعقل أشرف صفات الإنسان، كما سيأتى بيانه، إذ به تقبل أمانة الله، وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه ، وأما عموم النفع فلا يستراب فيه ، فإن نفعه وثمرته سعادة الآخرة، وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر

ونفوسهم وأشـرف موجود على الأرض جنس الإنس ، وأشرف جزء من جـواهر الإنسان قلبه، والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيـره وسياقته إلى القرب من الله عز وجل ، فتعليم العلم من وجه عـبادة لله تعالى ، ومن وجـه خلافة لله تعـالى وهو من أجلّ خلافـة الله ، فإن الله تعالى قد فتح عـلى قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته، فهو كـالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له فى الإنفاق منه على كل محتاج إليه، فأى رتبة أجلّ من كون العبد واسطة بين ربه سبحـانه وبين خلقه، فى تقريبهم إلى الله زلفـى وسياقتهم إلى جنة المـأوى، جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى .



[illegible]

☆ ☆ ☆

الباب الثانى

العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما، وفيه بيان ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو، وتفضيل علم الآخرة

بيان العلم الذى هو فرض عين

قال رسول الله ﷺ: « طلب العلم فريضة على كل مسلم ».

وقال أيضًا ﷺ: « اطلبوا العلم ولو بالصين ».

واختلف الناس في العلم الذى هو فرض على كل مسلم فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة، ولا نطيل بنقل التفصيل، ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده، فقال المتكلمون: هو علم الكلام، إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته، وقال الفقهاء: هو علم الفقه، إذ به تعرف العبادات، والحلال والحرام، وما يحرم من المعاملات وما يحل، وعنوا به ما يحتاج إليه الآحاد دون الوقائع النادرة، وقال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنة، إذ بهما يتوصل إلى العلوم كلها، وقال المتصوفة: المراد به هذا العلم؛ فقال بعضهم: هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عز وجل، وقال بعضهم: هو العلم بالإخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان، وقال بعضهم: هو علم الباطن، وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه، وقال أبو طالب المكى: هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الإسلام، وهو قوله ﷺ: « بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله... »[٦٠] إلى آخر الحديث؛ لأن الواجب هذه

(٦٠) حديث: « بنى الإسلام على خمس » هكذا فى النسخ وهى الرواية المشهورة، وفى نسخة «على خمسة» وهى رواية لمسلم، وفى رواية عبد الرزاق « على خمس دعائم »، قال العراقى:=

الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب، والذى ينبغى أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ما سيذكره وهو أن العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة، وعلم مكاشفة، وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ثلاثة : اعتقاد وفعل وترك، فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما، وهو قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة، بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزمًا من غير اختلاج ريب واضطراب نفس، وذلك قد

= رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من رواية عكرمة بن خالد عن ابن عمر رفعه « بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان»، قال الترمذى: حديث حسن صحيح، وأخرجه مسلم أيضا من رواية عاصم بن زيد بن محمد بن عمر عن أبيه عن ابن عمر، ورواه الترمذى من رواية حبيب بن أبى ثابت عن ابن عمر، وقال: حسن صحيح اهـ . قال مرتضى: رواه البخارى فى أول صحيحه، فقال: حدثنا عبيد الله بن موسى أخبرنا حنظلة بن أبى سفيان عن عكرمة بن أبى خالد عن ابن عمر ورواه في التفسير، وقال فيه وزاد عثمان بن وهب أخبرنى فلان وحيوة بن شريح عن بكر بن عمر وعن بكير بن عبد الله الأشج عن نافع عن ابن عمر، وأخرجه مسلم فى الإيمان عن محمد بن عبد الله بن نمير عن أبيه عن حنظلة، وعن ابن معاذ عن أبيه عن عاصم بن محمد عن أبيه عن جده، وعن ابن نمير عن أبى خالد الأحمر عن سعد بن طارق عن سعد بن عمير عن ابن عمرو عن سهل بن عثمان عن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن سعد بن طارق به، فوقع لمسلم من جميع طرقه خماسيا وللبخارى رباعيا وزاد مسلم فى روايته عن حنظلة قال: سمعت عكرمة ابن خالد يحدث طاوسا أن رجلا قال لعبد الله ابن عمر: ألا تنفروا، فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وقال البيهقى: اسم الرجل السائل حكيم، كذا فى شرح العينى على البخارى وقال مرتضى: وفى المخلصيات من رواية يزيد بن بشر السكسكى عن سنى والد عبادة: كنت عند ابن عمر فسأله رجل من أهل العراق فذكره، ويزيد بن بشير مجهول، ورواه كذلك الإمام أحمد فى مسنده وممن روى عن حبيب بن أبى ثابت سعيد بن الجمس ومسعر بن كدام وهو فى المخلصيات من رواية محمد بن ميمون الحناط عن سفيان بن عيينة عنهما وأخرجه المدنى فى مسنده عن سفيان عن سعيد وحده عنه وهو فى الغيلانيات من رواية حماد بن شعيب الحمانى عن حبيب بن أبى ثابت وأخرجه أبو نعيم من رواية حجاج بن منهال حدثنا همام بن يحيى عن محمد بن حجادة عن طلحة بن مصرف عن ابن عمر وفيه زيادة وليس لطلحة عن ابن عمر شىء فى الكتب الستة، قال العراقى: ويروى عن جرير أيضًا، رواه أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى فى الكبير من رواية عامر عن جرير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بنى الإسلام على خمس» فذكرها ولم يقل: أن محمداً رسول الله اهـ .

يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان إذ « **اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلم دليل** » (٦١) فإذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعًا لله عز وجل غير عاص له، وإنما يجب غير

---

(٦١) حديث: « اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب » «بالتصديق والإقرار» « من غير تعليم دليل » **قال العراقى:** هو مشهور فى كتب السير وفى الصحيح، فمن ذلك حديث أنس المتفق عليه فى قصة ضمام بن ثعلبة، وفيه: فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: صدق . . . الحديث وفى آخره، فقال الرجل: آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر. وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى أيوب أن أعرابيًا عرض لرسول الله ﷺ وهو فى سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ثم قال: يا رسول الله أو يا محمد أخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يباعدنى من النار وفيه فقال: « تعبد الله ولا تشرك به شيئًا . . . » الحديث. زاد مسلم فقال: إن تمسك بما أمر به دخل الجنة، وفى الصحيحين أيضا من حديث أبى هريرة أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: « تعبد الله ولا تشرك به شيئًا. . . » الحديث وفيه فقال: « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» والأحاديث فى هذا كثيرة مشهورة اهـ . وقال صاحب القوت: قوله ﷺ للأعرابى حين سأله: ما افترض الله علىَّ، وفى لفظ آخر: أخبرنا بالذى أرسلك الله إلينا، فأخبره بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت، فقال: هل علىَّ غيرها فقال: لا، إلا أن تتطوع، فقال: والله لا أزيد عليه شيئًا ولا أنقص منه شيئًا فقال: أفلح ودخل الجنة إن صدق . فكان علم هذه الخمس الفريضة من حيث هى كمال معلوم وفريضة إذ لا عمل إلا بعلم .ا هـ . **قال مرتضى:** وحديث ضمام فى أول كتاب البخارى رواه عن عبد الله بن يوسف التنيسى ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه جميعا عن عيسى بن حملة بن عتبة كلاهما عن الليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن شريك بن عبد الله بن نمير عن أنس، وأخرجه الترمذى عن محمد بن إسماعيل الترمذى عن على بن عبد الحميد، والنسائى عن محمد بن محمد عن ابن عامر العقدى وعبد بن حميد عن أبى النضر هاشم بن القاسم، وأبو عوانة فى صحيحه من رواية موسى بن إسماعيل خمستهم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس، وفى رواياتهم اختلاف فى اللفظ وأكمل الروايات لهذا الحديث حديث ابن عباس، وهو بطوله فى الخلعيات من رواية محمد بن إسحق وحدثنى محمد بن الوليد عن كريب عنه وفى آخره يقول عبد الله بن عباس: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة. وقد وقع فى هذه الطرق كلها ذكر الحج ما عدا رواية البخارى وقدوم ضمام كان فى سنة تسع وبه جزم بن إسحق وأبو عبيد ووقع فى معجم الطبرانى من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس التصريح بأن قدوم ضمام كان بمكة. والله أعلم .

ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريًا فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها، وتلك العوارض إما أن تكون فى الفعل وإما فى الترك وإما فى الاعتقاد، أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة، فإن كان صحيحًا وكان بحيث لو صبر إلى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال: الظاهر بقاؤه، فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال، وهكذا فى بقية الصلوات فإن عاش إلى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح إلى غروب الشمس، وأن الواجب فيه النية والإمساك عن الأكل والشرب والوقاع، وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين، فإن تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه فى الحال إنما يلزمه عند تمام الحول من وقت الإسلام، فإن لم يملك إلا الإبل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الإبل، وكذلك فى سائر الأصناف. فإذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة إلى علم الحج مع أن فعله على التراخى فلا يكون تعلمه على الفور، ولكن ينبغى لعلماء الإسلام أن ينبهوه إلى أن الحج فرض على التراخى على كل من ملك الزاد والراحلة إذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة، فعند ذلك إذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله، فإن فعل ذلك نفل فعلمه أيضًا نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه، وهكذا التدريج فى علم سائر الأفعال التى هى فرض عين، وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص، إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام، ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر، ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال، فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الإسلام لابسًا للحرير أو جالسًا فى الغصب أو ناظرا إلى غير ذى محرم فيجب تعريفه بذلك، وما ليس ملابسًا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى إذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب

الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه، وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه، وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فإن خطر له شك فى المعانى التى تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به إلى إزالة الشك فإن لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئى وأنه ليس محلا للحوادث إلى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقد مات على الإسلام إجماعًا، ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد، فإن كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغى أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق فإنه لو ألقى إليه الباطل لوجبت إزالته عن قلبه، وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرًا، وقد شاع فى البلد معاملة الربا، وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب، فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين، وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضًا ولكن فى حق من يتصدى له، فإذا كان الغالب أن الإنسان لا ينفك عن دواعى الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجًا إليه وكيف لا يجب عليه. وقد قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه** »(٦٢) ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتهما تتبع هذه الثلاث المهلكات وإزالتها فرض عين، ولا يمكن

---

(٦٢) حديث: « فشح مطاع وهو متبع وإعجاب المرء بنفسه ... » إلخ الحديث، وقد أخرج هذا الحديث بتلك الزيادة أيضًا أبو الشيخ فى التوبيخ وقد روى مقتصرًا على ذكر المهلكات كما للمصنف من رواية أيوب بن عتبة عن الفضل بن بكر عن قتادة عن أنس، وهكذا رواه البيهقى فى شعب الإيمان وكلا الإسنادين ضعيف، ورواه ابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الأوسط من رواية حميد بن الحكم عن الحسن عن أنس ويروى أيضا عن ابن عمر، أخرجه الطبرانى فى الأوسط من رواية ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير عنه وأخرج ابن حبان فى الضعفاء من رواية محمد بن عون الخراسانى عن محمد بن زيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رفعه: « المهلكات ثلاث: إعجاب المرء بنفسه، وشح مطاع، وهوى متبع » ، ورواه ابن عدى من هذا الوجه، ومن رواية عيسى بن ميمون عن محمد بن كعب عن ابن عباس، وفى الباب عن أبى هريرة وابن أبى أوفى وأبى ثعلبة .

إزالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها، فإن من لا يعرف الشر يقع فيه، والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب، وأكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الأعيان، وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني، ومما ينبغي أن يبادر في إلقائه إليه إذا لم يكن قد انتقل عن ملة إلى ملة أخرى الإيمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى يؤمن به ويصدق، وهو من تتمة كلمتي الشهادة فإنه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها، وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار ؛ فإذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا، وتحققت أن كل عبد هو في مجاري أحواله في يومه وليلته لا يخلو من وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر، ويلزمه المبادرة إلى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبًا، فإذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام إنما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام في قوله ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » علم العمل الذي هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير، فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه، والله أعلم .

بيان العلم الذي هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم، والعلوم بالإضافة إلى الفرض الذي نحن بصدده تنقسم إلى شرعية وغير شرعية، وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم، وسلامه ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة، فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم إلى ما هو محمود وإلى ما هو مذموم وإلى ما هو مباح :

فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية، وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة، أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فإنه ضروري في

المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما، وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين، فلا يتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات؛ فإن أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة؛ فإنه لو خلا بلد من الحجَّام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريض أنفسهم للهلاك؛ فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه، فلايجوز التعرض للهلاك بإهماله.

وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج إليه.

وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات.

وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التى لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجرى مجراه.

وأما العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان فهى محمودة كلها، ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة؛ أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهى أربعة أضرب :

الضرب الأول الأصول، وهى أربعة : كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله عليه السلام وإجماع الأمة وآثار الصحابة، والإجماع أصل من حيث إنه يدل على السُّنة، فهو أصل فى الدرجة الثالثة، وكذا الأثر فإنه يدل على السُّنة لأن الصحابة ﷺ قد شاهدوا الوحى والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب من غيرهم عيانه، وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن، فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم، وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه، ولا يليق بيانه بهذا الفن.

الضرب الثانى: الفروع، وهو ما فُهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول، فاتسع بسببها الفهم حتى فُهم من اللفظ الملفوظ به غيره، كما فهم من قوله عليه

السلام : «لا يقضى القاضى وهو غضبان» (٦٣)، أنه لا يقضى إذا كان حاقنا أو جائعًا أو متألمًا بمرض، وهذا على ضربين : أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه، والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا، والثانى ما يتعلق بمصالح الآخرة، وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة، وما هو مرضى عند الله تعالى، وما هو مكروه وهو الذى يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب «أعنى جملة كتاب إحياء علوم الدين» ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح فى عباداتها وعاداتها وهو الذى يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب.

الضرب الثالث: المقدمات، وهى التى تجرى منه مجرى الآلات، كعلم اللغة والنحو فإنهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية فى أنفسهما، ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب، وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة، ومن الآلات علم كتابة الخط، إلا أن ذلك ليس ضروريا « إذ كان رسول الله ﷺ أميًا » (٦٤)، ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة، ولكنه صار بحكم العجز فى الغالب ضروريا.

---

(٦٣) حديث: « لا يقضى القاضى وهو غضبان» قال العراقى: رواه الستة من حديث عبد الرحمن ابن أبى بكرة عن أبيه، وهذا لفظ النسائى وابن ماجه وزاد: بين اثنين، وقال البخارى: لا يقضين حكم، وقال مسلم: لا يحكم أحد، وقال أبو داود: لا يقضى الحكم، وقال الترمذى: لا يحكم الحاكم، وقال: فهذا حديث حسن صحيح .ا هـ. قال مرتضى: وبمثل سياق ابن ماجه رواه الإمام أحمد أيضًا، وكذا أبو داود، وبمثل سياق مسلم رواه الترمذى والنسائى أيضًا، وبمثل سياق البخارى رواه أيضًا الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه، وأخرج ابن ماجه وضعفه والدارقطنى فى سننه والخطيب وسمويه فى فوائده عن أبى سعيد رفعه «لا يقضى القاضى بين اثنين إلا وهو شبعان ريان»، وأخرج النسائى والطبرانى فى الكبير عن أبى بكرة «لا يقضين أحد فى قضاء بقضاءين، ولا يقضى أحد بين خصمين وهو غضبان » .

(٦٤) حديث: « كان رسول الله ﷺ أميًا » أى: لا يحسن الكتابة، قيل نسبة إلى الأم، لأن الكتابة مكتسبة، فهو على ما ولدته من الجهل بالكتابة، وقيل: نسبة إلى أمة العرب لأنه كان أكثرهم أميين، كذا فى المصباح. ويروى: إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب. أخرجه الشيخان من حديث ابن عمر، أراد أنهم على أصل ولادة أمهم لم يتعلموا الكتابة والحساب فهم على جبلتهم الأولى، وقيل له ﷺ الأمى لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تحسب، وبعثه الله رسولا ، وهو لايكتب ولا يقرأ من كتاب، كانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب=

الضرب الرابع: المتممات، وذلك في علم القرآن، فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف، وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير، فإن اعتماده أيضًا على النقل، إذ اللغة بمجردها لا تستقل به، وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض، وهو العلم الذى يسمى أصول الفقه ويتناول السُّنة أيضًا، وأما المتممات فى الآثار والأخبار، فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم، وأسماء الصحابة وصفاتهم، والعلم بالعدالة فى الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند، وكذلك ما يتعلق به، فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة بل وكلها من فروض الكفايات .

فإن قلت: لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا؟ فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق، فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا، ثم إلى القبر، ثم إلى العرض، ثم إلى الجنة أو إلى النار، فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادًا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود، فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء، ولكنهم

= الله منظوما تارة بعد أخرى بالنظم الذى أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه، ففى ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾، قال ابن مردويه فى تفسيره حدثنا أحمد بن كامل حدثنا محمد بن سعد حدثنا أبى حدثنا عمر حدثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس قال: كان نبى الله ﷺ أميا لا يقرأ شيئًا، ولا يكتب. وروى أيضا من رواية ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما كالمودع فقال: « أنا محمد النبى الأمى، أنا محمد النبى الأمى. . . » الحديث، وهكذا أخرجه أحمد أيضا، وروى البخارى من حديث البراء فى قصة صلح أهل مكة: فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب . . . الحديث، وروى ابن حبان والدارقطنى والحاكم فى المستدرك والبيهقى من رواية محمد بن عبد الله بن زيد عن أبى مسعود البدرى عن النبى ﷺ فى حديث قال: « إذا أنتم صليتم علىّ فقولوا: « اللهم صل على محمد النبى الأمى . . . » الحديث، قال الدارقطنى: إسناده حسن، وقال الحاكم: هو حديث صحيح، وقال البيهقى فى المعرفة: هذا إسناد صحيح، وروى أحمد ومسلم والثلاثة من حديث أبى سعيد الأنصارى مثله، وقال الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الرافعى: إن مما حرم عليه ﷺ الخط والشعر وإنما يتجه التحريم إن قلنا إنه كان لا يحسنهما ولكن يميز بين جيد الشعر ورديئه، وتمام البحث فى شرحنا على القاموس .

تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم، واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به، فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات، فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم بتقامتهم أمورهم فى الدنيا، ولعمرى إنه متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توءمان، فالدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، و ما لا حارس له فضائع، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان، وطريق الضبط فى فصل الحكومات بالفقه، وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين فى الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به، فكذلك معرفة طريق السياسة، فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة تحرس من العرب فى الطريق، ولكن الحج شىء وسلوك الطريق إلى الحج شىء ثان، والقيام بالحراسة التى لا يتم الحج إلا بها شىء ثالث، ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شىء رابع، وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى مسنداً « **لا يفتى الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف**» (٦٥) فالأمير هو الإمام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما، وهو الذى يتقلد تلك العهدة من غير حاجة، وقد كان الصحابة ﷺ يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة، وفى بعض الروايات بدل المتكلف « المرائى» فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة، فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال، فإن قلت: هذا إن استقام لك فى أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات

(٦٥) حديث: « لا يفتى الناس إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو متكلف» هكذا فى سائر نسخ الكتاب ومثله فى قوت القلوب لأبى طالب والذى فى الأحاديث على ما سيأتى بيانها: « لا يقص » بدل: « لا يفتى » ولكن المصنف تبع صاحب القوت، أخرجه الطبرانى فى الأوسط من حديث عوف ابن مالك الأشجعى: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف»، وفى المجلس الخامس عشر من أمالى عبد الله بن منده من رواية خالد بن عبد الرحمن حدثنا عمرو بن زر عن مجاهد عن أبى هريرة رفعه « لا يقص فى مسجدى هذا إلا أمير أو مأمور أو متكلف » وأخرج الطبرانى فى الكبير عن عبادة بن الصامت رفعه «لا يقص إلا أمير أو مأمور أو متكلف » .

من الصيام والصلاة، ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام، فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التى هى أعمال الآخرة ثلاثة : الإسلام، والصلاة والزكاة، والحلال والحرام، فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة، وإذا عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر، أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد، وفى شروطه، وليس يلتفت فيه إلا إلى اللسان، وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله ﷺ أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال : «**هلا شققت عن قلبه**» (٦٦) للذى قتل من تكلم بكلمة الإسلام معتذراً بأنه قال ذلك من خوف السيف، بل يحكم الفقيه بصحة الإسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته، ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة، ولكنه مشير على صاحب السيف، فإن السيف ممتد إلى رقبته واليد ممتدة إلى ماله، وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله ما دام له رقبة ومال، وذلك فى الدنيا، ولذلك قال ﷺ : « **أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم** » (٦٧) جعل أثر ذلك فى الدم والمال.

---

(٦٦) حديث: «هلا شققت عن قلبه» أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والطبرانى فى الكبير وابن أبى شيبة فى المصنف من حديث جندب بن عبد الله البجلى رفعه، وهكذا هو فى الجزء الرابع من فوائد أبى أحمد الحاكم بلفظ «فهلا شققت على قلبه» وفى إسناده شهر بن حوشب وثقه أحمد وابن معين وتكلم فيه غيرهما، **قال العراقى**: والحديث عند مسلم وليس فيه قوله « هلا شققت على قلبه»، قال: ويروى عن أسامة بن زيد أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى، وكذا مالك فى الموطأ والإمام أحمد وابن أبى شيبة والعدنى فى مسانيدهم وأبو عوانة فى صحيحه وابن حبان والحاكم والطحاوى والبيهقى كلهم من رواية أبى ظبيان واسمه حصين بن جندب عن أسامة بن زيد، قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله؛ فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى ﷺ، فقال رسول الله ﷺ : «قال لا إله إلا الله وقتلته »؟ قال: يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا، من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة» فما زال يكررها حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ، **قال العراقى**: والحديث عند البخارى أيضًا ولكن ليس فيه قوله: «أفلا شققت عن قلبه» .

(٦٧) حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم=

وأما الآخرة فلا تنفع فيهـا الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها وإخلاصها، وليس ذلك من فن الفقه وإن خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض فى الكلام والطب، وكان خارجًا عن فنه.

= وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عـز وجل » قال المناوى: قال الرافعى: وبين الشافعى أن الحديث مـخرجه عام ويراد به الخـاص والقصد به أهل الأوثان وهو أصل من أصـول الإسلام، وفى بعض رواياته: حتى يشهـدوا، أى يقرّوا ويبينوا، وهذا الحديث رواه ستة عـشر من الصحابة كمـا قاله العراقى وهم: أبو هـريرة وعـمر وابن عمر وجـابر وأنس ومعـاذ وأوس بن أبى أوس وأبو بكر الصديق وسعد بن أبى وقاص وجرير بن عـبد الله وسهل بن سعد وابن عباس وأبو بكرة وأبو مالك الأشجعى عن أبيه وسمرة بن جندب والنعمان بن بشير، أما حديث أبى هريرة فأخرجه الأئمة الستة، وهذا لفظ الترمذى وابن ماجه فى الفتن إلا أنهما لم يقولا: فقد، وكذا قال أبو داود إلا أنه قال: منعوا بدل عـصموا، وقال الشيـخان: فمن قال لا إله إلا الله، قـال مسلم: عصم، وقال البخـارى: فقد عصم منى نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله . قال مـرتضى: وأخرجه أبو بكـر بن مردويه من روايـة الحـسن بن عمـرو عن منـذر الثـورى عن محمـد ابن الحنفية عن أبى هريرة رفعـه كسيـاق المصنف، وفى آخـره قيل له: طفت على أبيك قـال: إنى لم أفعل إن الناس انطلقوا إلى أبى فبـايعوه طائعين غير مكرهين فنكث ناكث فقتـله، وبغى باغ فقتله، ومرق مارق فقتـله، وابن الحنفية هذا لم يخرج له عن أبى هريرة فى شىء من الكتب الستة، وأخرجه الخلعى فى فـوائده من رواية مـالك عن أبى الزناد عن الأعـرج عن أبى هريرة، ثـم قال: وأمـا حديث عـمر فرواه السـتة خلا ابن ماجـه من رواية أبى هريرة عن عمـر عن النبى ﷺ نحوه، قلت: أخرجه أحمد والبـخارى قال أحمد: حدثنا عاصم بن خالد وأبو اليـمان، وقال البخارى: حدثنا أبو اليمـان قال: حدثنا شعيب بن أبى حـمزة عن الزهرى حدثنا عبيـد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال: لمـا توفى رسول الله ﷺ وكان أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب؛ قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: « أمرت أن أقاتل الناس . . . » الحديث بطوله، ورواه البخـارى أيضًا ومسلم عن قتيبـة عن الليث، ورواه عمرو بن عاصم الكلابى عن عمران القطان عن معمر عن الزهرى عن أنس عن أبى بكر مرفوعا « أمرت أن أقاتل الناس . . . » الحديث . قـال ابن أبى حاتم: سألت أبا زرعة عنه فـقال: هذا خطأ إنما هو الزهرى عن عبيـد الله بن عبد الله بن عتـبة عن أبى هريرة أن عمر قـال لأبى بكر . . . القصة، قلت لأبى زرعة: الوهم ممن ؟ قال: من عمران. ثم قال العراقى: وأما حديث ابن عمر فأخرجه الشيـخان وقالا: حتى يشـهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمـدًا رسول الله ويقيمـوا الصلاة ويؤتوا الزكاة، قال البـخارى: فإذا فعلوا ذلك: وقال مـسلم: فإذا فعلوه عصمـوا منى دماءهم وأموالهم . . . الحديث، وأمـا حديث جابر فرواه مـسلم والترمذى والنسـائى وابن ماجه، ولفظ التـرمذى كلفظ المصـنف إلا أنه لم يقل: فقد، وقـال مسلم وابن ماجـه: فإذا قـالوا لا إله إلا الله، وأما حديث أنس فـرواه البخـارى وأبو داود والترمـذى والنسائى، زاد البـخارى: فإذا قـالوها وصلوا صلاتنا واستقـبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دمـاؤهم وأموالهم . . . الحديث . وقال أبو داود والترمذى: حتى يشـهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وأن يسـتقبلوا قبلتنا=

وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط، وإن كان غافلا في جميع صلاته من أولها إلى آخرها، مشغولا بالتفكر في حساب معاملاته في السوق إلا عند التكبير، وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع، ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير؛ فأما الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجًا عن فنه.

وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرًا حكم بأنه برئت ذمته، وحكي أن أبا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها إسقاطًا للزكاة، فحكي ذلك لأبي حنيفة رحمه الله فقال:

= وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك حرمت . . . الحديث، قال مرتضى: وأخرجه أيضا الطبراني في المعجم الكبير قال: وأما حديث معاذ فرواه ابن ماجه ولفظه: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة . وفي إسناده شهر بن حوشب، وأما حديث أوس بن أبي أوس بن حذيفة فرواه النسائي وابن ماجه ورجاله رجال الصحيح، قال مرتضى: وأخرجه أيضًا الطبراني في المعجم الكبير من طريق شعبة عن النعمان بن سالم قال: سمعت أوس بن أبي أوس وقال سماك بن حرب: عن النعمان بن سالم عن أوس، وقال حاتم: عن النعمان عن عمر بن أوس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «أوحى إليّ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . . . » الحديث، قال أبو حاتم: وشعبة أحفظ القوم، قال: وأما حديث أبي بكر الصديق فرواه البزار في مسنده من رواية عمران القطان عن معمر عن الزهري عن أنس عن أبي بكر قال البزار: أحسب أن عمران أخطأ في إسناده ولذا قال الترمذي في الجامع: إن حديث عمران خطأ، وكذا قال الدارقطني في العلل: إنه وهم فيه على معمر وإن الصواب رواية الزهري عن عبيد الله ان عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبي هريرة قال: قال أبو بكر لعمر ﷺ، قلت: قد تقدم أن الذي رواه عن عمران القطان هو عمرو بن عاصم الكلابي، وتقدم أيضًا سؤال ابن أبي حاتم لأبي زرعة وجوابه له وأن الوهم فيه من عمران القطان، قال: وأما حديث سعد فرواه الترمذي بقوله: وفي الباب قال: وأما حديث جرير وسهل وأبي مالك الأشجعي عن أبيه فرواهما الطبراني في المعجم الكبير وأما حديث سمرة فرواه الطبراني في الأوسط وحديث ابن عباس وأبي بكرة رواهما في الكبير والأوسط وحديث النعمان بن بشير رواه البزار وقال: أخطأ فيه أسود بن عامر .ا هـ . قلت: ويروى هذا الحديث أيضًا من رواية عياض الأنصاري وهو صحابي، أخرجه البزار في مسنده فتم العدد سبعة عشر وهو متواتر صرح به غير واحد من المحدثين .

ذلك من فقيهه، وصدق؛ فإن ذلك من فقه الدنيا، ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية، ومثل هذا هو العلم الضار.

وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين، ولكن الورع له أربع مراتب :

الأولى : الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة، وهو الذى يخرج بتركه الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر.

الثانية : ورع الصالحين وهو التوقى من الشبهات التى تتقابل فيها الاحتمالات.

قال ﷺ : « **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** » (٦٨) .

---

(٦٨) حديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» قال العراقى: رواه الترمذى والنسائى من رواية أبى الجوزاء عن الحسن بن على رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، زاد الترمذى: فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن حبان فى صحيحه .ا هـ **قال مرتضى**: أخرجه من رواية شعبة أخبرنى يزيد بن أبى مريم سمعت أبا الجوزاء السعدى يقول: قلت للحسن بن على: ما تذكر عن رسول الله ﷺ ؟ قال: كان يقول فذكره، وأخرجه كذلك أحمد والدارمى وأبو يعلى والطيالسى بتلك الزيادة وعند الطبرانى فى الكبير والبيهقى والحاكم: وإن الشر لريبة بدل وإن الكذب، وعند ابن قانع بلفظ « فإن الصدق ينجى » وقال الذهبى فى حديث الحسن هذا: سنده قوى. وأخرجه الحاكم فى التاريخ بهذا اللفظ عن أبى الدرداء ووقفه عليه ثم **قال العراقى**: ورواه أيضا أبو يعلى الموصلى فى مسنده من رواية عبيد بن القاسم عن العلاء بن ثعلبة عن أبى المليح الهذلى عن واثلة بن الأسقع عن النبى ﷺ فى أثناء حديث، وعبيد بن القاسم ضعيف جدا منسوب إلى الكذب والوضع، ورواه الطبرانى فى الكبير من رواية بقية بن الوليد حدثنى إسماعيل بن عبد الله الكندى عن طاوس عن واثلة قال: قلت: يا نبى الله... فذكر الحديث وفيه: فإن الخير طمأنينة والشك ريبة . وإسماعيل مجهول .ا هـ . قلت: وكذلك رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى أماليه، ثم **قال العراقى**: ورواه الطبرانى فى الصغير من رواية عبد الله بن أبى رومان عن ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ ولا أصل له من حديث مالك، وابن أبى رومان ضعيف .ا هـ . **وقال مرتضى كذلك**: وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من رواية أبى بكر بن راشد عن عبد الله بن أبى رومان وقال: إنه غريب من حديث مالك تفرد به ابن أبى رومان عن ابن وهب وأخرجه الخطيب فى التاريخ فى ترجمة الباغندى، من حديث قتيبة عن مالك بزيادة: فإنك لن تجد فقد شىء تركته لله، ثم قال: هذا باطل بهذا الوجه، وإنما اشتهر به ابن أبى رومان عن ابن وهب عن مالك وهو ضعيف، والصحيح عن مالك من قوله وقد سرقه ابن أبى رومان، وقال الجلال فى جامعه الكبير نقلا عن الخليل: الصواب وقفه على ابن عمر، **قال العراقى**: ورواه أبو الشيخ فى كتاب الطبقات من رواية=

وقال ﷺ: « الإثم حزاز القلوب » (٦٩).

الثالثة: ورع المتقين، وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى الحرام.

قال ﷺ: « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس » (٧٠)

= صالح بن موسى عن المغيرة عن الشعبي عن النعمان ابن بشير قال: قال رسول الله ﷺ فذكره، وصالح بن موسى القرشي منكر الحديث، قاله البخاري، ورواه الطبراني في الكبير من رواية طلحة بن زيد عن راشد بن أبي راشد قال: سمعت وابصة بن معبد يقول: سألت رسول الله ﷺ عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ الذي يكون في الأظفار، فقال: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». وطلحة ضعيف ورواه أحمد في مسنده من رواية أبي عبد الله الأسدي بسكون السين عن أنس رفعه فذكره، وأبو عبد الله الأسدي قال أبو حاتم: مجهول تفرد عنه يحيى بن أيوب المضري وهو معروف وسماه بعضهم عيسى بن عبد الرحمن، قلت: وقال الهيثمي وهو رفيق العراقي في الشيوخ: أبو عبد الله الأسدي لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح. ثم إن المصنف أورده في المرتبة الثانية من الورع إشارة إلى أن المعنى به هم أرباب الصلاح ذوو البصائر والعقول المرتاضة والقلوب السليمة، كأن نفوسهم بالطبع تصبو إلى الخير وتنبو عن الشر، فإن الشيء يتحبب إلى ما يلائمه وينفر عما يخالفه، فيكون بما يلهمه الصواب غالبا على أنه يمكن حمل هذا الحديث على سائر مراتب الورع لأن عمومه يقتضي وقوع الريبة في العبادات والمعاملات وسائر أبواب الأحكام الظاهرة والباطنة وإن ترك الريبة في كل ذلك ورع، قالوا: وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين وأصل في الورع الذي عليه مدار اليقين، وقال العسكري: لو تأمل الحذاق هذا الحديث لتيقنوا أنه استوعب كل ما يتجنب في الشبهات، والله أعلم.

(٦٩) حديث: « الإثم حزاز القلوب » **قال العراقي**: رواه البيهقي في الشعب من طريق سعيد بن منصور: حدثنا سفيان عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال: قال عبد الله: قال رسول الله ﷺ: «الإثم حواز القلوب» قال: المعروف أنه من قول ابن مسعود قال: الإثم حواز القلوب وما كان من نظيره فإن للشيطان فيها مطمعًا. وإسناده صحيح رويناه في مسند المدني حدثنا سفيان عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه عن ابن مسعود، وكذا رواه الطبراني في الكبير موقوفا. إ هـ. **قال مرتضى**: وأخرجه أبو نعيم في الحلية كذلك موقوفا على عبد الله، رواه من رواية جرير عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن أبيه قال: قال عبد الله، إياكم وحزائز القلوب، وما حز في قلبك من شيء فدعه. **قال العراقي**: وقد ورد معناه مرفوعا في عدة أحاديث منها حديث النواس بن سمعان: « الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس» ومنها حديث وابصة بن معبد: « والإثم ما حاك في نفسك وتردد في الصدر» . ومنها حديث واثلة: « والإثم ما حاك في الصدر» .

(٧٠) حديث: « لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس فيه حذرًا مما به بأس» وفي رواية: مخافة مما به بأس، **قال العراقي**: رواه الترمذي وابن ماجه من رواية عبد الله بن يزيد قال: =

وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجزار إلى الغيبة، والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى إلى مقارفة المحظورات.

الرابعة : ورع الصدِّيقين، وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفًا من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل، وإن كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى إلى حرام، فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى، وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الإثم فى الآخرة.

قال رسول الله ﷺ لوابصة: « **استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك وإن أفتوك** »(٧١) والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط، فإذا

= حدثنى ربيعة بن يزيد وعطية بن قيس عن عطية السعدى وكان من أصحاب النبى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين ...... » فذكره وقال: لما به بأس. قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ورواه الحاكم فى المستدرك وقال: حديث صحيح الإسنادا. اهـ . **قال مرتضى:** وأخرجه كذلك الطبرانى فى الكبير والبيهقى بهذا اللفظ .

(٧١) حديث: « استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك » هكذا بالتكرار ثلاث مرات فى سائر النسخ. **قال العراقى:** رواه أحمد فى مسنده فقال: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن الزبير بن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكرز عن وابصة قال: أتيت رسول الله ﷺ وفيه: « يا وابصة، استفت نفسك، البر ما اطمأن إليه القلب واطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك فى القلب وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك» وقال فى رواية له عن الزبير عن أيوب ولم يسمعه منه قال: حدثنى جلساؤه وقد رأيته عن وابصة وقال: «استفت نفسك واستفت نفسك». ثلاث مرات، الحديث .ا هـ. **قال مرتضى:** وهكذا أخرجه أيضا الدارمى وأبو يعلى فى مسنديهما والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية من رواية أيوب وسياق سند الدارمى حسن نبه عليه النووى فى رياضه وفى سياق سند الطبرانى العلاء بن ثعلبة وهو مجهول، وأخرجه أيضا البخارى فى التاريخ وله أشار الجلال فى جامعه الصغير مقتصراً عليه وهو قصور، ولفظه: «استفت نفسك وإن أفتاك المفتون». ولم أر فى طرق المخرجين لهذا الحديث تكرار قوله: وإن أفتوك، ثلاث مرات إلا أن صاحب القوت بعدما ذكر الحديث بالسياق المشهور قال: وقد جاء بلفظة مؤكدة بالتكرير والمبالغة فقال: «استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك». والمصنف تبعه فى سياقه فتأمل، وسيأتى للمصنف التعرض لهذا الحديث فيما بعد، والمعنى: استفت نفسك المطمئنة الموهوبة نورا يفرق بين الحق والباطل، وعلى الرواية الثانية: عوِّل على ما فى قلبك والتزم العمل بما أرشدك إليه وإن أفتاك الناس بخلافه لأنهم إنما يطلعون على الظواهر، والكلام=

جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة؛ فإن تكلم فى شىء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل فى كلامه شىء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام، وكما تدخل الحكمة فى النحو والشعر، وكان سفيان الثورى وهو إمام فى علم الظاهر يقول : إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة، كيف وقد اتفقوا على أن الشرف فى العلم العمل به، فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والإجارة والصرف، ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها إلى الله تعالى فهو مجنون، وإنما العمل بالقلب والجوارح فى الطاعات والشرف هو تلك الأعمال، فإن قلت: لِمَ سوَّيْت بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضًا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف إجماع المسلمين ؟ فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ثلاثة أوجه: أحدها أنه علم شرعى إذ هو مستفاد من النبوة بخلاف الطب فإنه ليس من علم الشرع، والثانى أنه لا يستغنى عنه أحد من سالكى طريق الآخرة البتة : لا الصحيح ولا المريض، وأما الطب فلا يحتاج إليه إلا المرضى وهم الأقلون، والثالث أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر فى أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب، فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية فى الآخرة، والمذموم يصدر من المذموم، وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب، وأما الصحة والمرض فمنشؤهما صفاء فى المزاج والأخلاط، وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب، فمهما أضيف الفقه إلى الطب ظهر شرفه، وإذا أضيف علم طريق الآخرة إلى الفقه ظهر أيضًا شرف علم طريق الآخرة، فإن قلت: فصِّل لى علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجمه، وإن لم يمكن استقصاء تفاصيله، فاعلم أنه قسمان : علم مكاشفة وعلم معاملة، فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن، وذلك غاية العلوم، فقد قال بعض العارفين : من لم يكن له

= فيمن شرح الله صدره بنور اليقين فأفتاه غيره بمجرد حدس وتخمين من غير دليل شرعى وإلا لزمه اتباعه وإن لم ينشرح له صدره، وهذا إذا كان الخطاب عامًا، **قال العراقى:** وفى الباب عن وائلة ولفظه: «بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لتفتنا عن أمرنا فآخذه من بعدك، قال: لتفتك نفسك» قال فقلت: وكيف لى بذلك ؟ قال: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وإن أفتاك المفتون» الحديث. وقال السخاوى: وفى الباب عن النواس بن سمعان وغيره .

نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله، وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشىء من هذا العلم: بدعة أو كبر، وقيل: من كان محبًا للدنيا أو مصرًا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم، وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيئًا، وينشد على قوله:

وارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصدِّيقين والمقرَّبين، أعنى علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة، وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معانى مجملة غير متضحة، فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه فى خلق الدنيا والآخرة، ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبى، ومعنى الوحى ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين، وكيفية معاداة الشياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، وكيفية وصول الوحى إليهم والمعرفة بملكوت السماوات والأرض ومعرفة القلب، وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه، ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومعرفة الآخرة والجنة والنار، وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب، ومعنى قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء: ١٤) ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦٤) . ومعنى لقاء الله عز وجل والنظر إلى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول فى جواره، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يُرى الكوكب الدرى فى جوف السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس فى معانى هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى، فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذى أعده لعباده الصالحين «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى أن بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها

المفهومة من ألفاظها، وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عز وجل الاعتراف بالعجز عن معرفته، وبعضهم يدّعى أموراً عظيمة فى المعرفة بالله عز وجل، وبعضهم يقول: حد معرفة الله عز وجل وما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام، وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم، فنعنى بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق فى هذه الأمور اتضاحاً يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه، وهذا ممكن فى جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا، وإنما نعنى بعلم طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التى هى الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله، وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فى جميع أحوالهم، فبقدر ما ينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه، ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التى يأتى تفصيلها فى موضعها، وبالعلم والتعليم، وهذه هى العلوم التى لا تسطر فى الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشىء منها إلا مع أهله، وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الإسرار، وهذا هو العلم الخفى الذى أراده ﷺ بقوله:

« إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى، فلا تحقروا عالماً آتاه الله تعالى علماً منه، فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه » (٧٢)، وأما القسم الثانى وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب، أما

---

(٧٢) حديث: « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا أهل المعرفة بالله، فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار به فلا تحقروا (بكسر القاف مخففاً من حد ضرب) عالماً آتاه الله علماً، فإن الله لم يحقره إذ آتاه العلم » قال العراقى: رواه أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى فى الأربعين التى جعلها فى التصوف من رواية عبد السلام بن صالح عن سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله عز وجل، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله عز وجل» ومن طريق السلمى رواه الديلمى فى مسند الفردوس، وعبد السلام بن صالح أبو الصلت الهروى ضعيف جدا .ا هـ . قال مرتضى: وأورده السيوطى فى اللآلئ المصنوعة، فقال: أخرجه الطيالسى فى ترغيبه فقال: أخبرنا القاضى أبو بكر أحمد بن الحسن أبو على حامد بن محمد الرفاء أخبرنا نصر بن أحمد حدثنا عبد السلام بن صالح، فساقه وزاد بعد قوله إلا أهل الاغترار بالله: إن الله جامع العلماء يوم القيامة فى صعيد واحد، فيقول: إنى لم أودعكم علمى وأنا أريد=

ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال والإحسان وحسن الظنّ وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والإخلاص فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التى بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة، وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلوّ وحب الثناء وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل

= إن أعذبكم. وأورده كذلك فى كتابه « تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية » من هذه الطريق إلا أن فيها: إلا أهل الغرة بالله عز وجل، كما عند السلمى .ا هـ . ثم قال: وهذا إسناد ضعيف، وعبد السلام بن صالح كان رجلا صالحا إلا أنه شيعى وهو من رجال ابن ماجه ، وقد اختلف فيه، فقال أبو حاتم: لم يكن عندى بصدوق وقال العقيلى: رافضى خبيث، وقال النسائى ليس بثقة، وقال الدارقطنى: رافضى متهم، وقال عباس الدهرى: سمعت يحيى يوثق أبا الصلت، وقال ابن محرز عن يحيى: ليس ممن يكذب وأثنى عليه أحمد بن يسار فى تاريخ مرو وقال السيوطى: فالحاصل أن حديثه فى مرتبة الضعيف الذى ليس بموضوع، قال: وقد أورد القطب القسطلانى هذا الحديث فى كتاب له فى التصوف وقال: إن له شاهدا من مرسل سعيد ابن المسيب .ا هـ . **قال العراقى**: وأما آخر الحديث فرواه أبو عبد الله الحسين بن فنجويه الدينورى فى كتاب المعلمين من رواية كثير بن سليم عن أنس فذكر حديثا طويلا فيه: ثم قال رسول الله ﷺ: « إن الله عز وجل يقول: لا تحقروا عبدا أعطيته علما فإنى لم أحقره حين وضعت ذلك العلم فى قلبه» وكثير بن سليم ضعيف .ا هـ . ثم **قال مرتضى**: وأخرجه ابن عدى فى الكامل فى ترجمة طلحة بن زيد من حديث أبى موسى الأشعرى رفعه: « إن الله تبارك وتعالى يقول: لا تحقروا عبدا آتيته علما فإنى لم أحقره حين علمته »، وطلحة بن زيد متروك، قال السيوطى: وقد أخرجه الطبرانى من طريق صدقة بن عبد الله عن طلحة بن زيد به، **قلت**: ووجدت فى كتاب تأليف الشيخ صفى الدين أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى المنصور ظافر ابن الحسين الأزدى نازل القرافة فى ترجمة شيخه عتيق الدمشقى أنه كان مع شيخه أبى النجاء بالموصل وذكر اجتماعه بقضيب البان فسأله عن الشيوخ الذين رآهم حال سياحته من المغرب فكان يقول قضيب البان عند ذكر رجل منهم: هذا وزنه كذا حتى ذكر شيخا مشهورًا ببلاد المشرق فقال له عند ذكره: من الرجال من يرفع صيته ما بين المشرق والمغرب ولا يسوى عند الله جناح بعوضة، ثم قال قضيب البان يا أبا النجاء إن من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء بالله ولا ينكره إلا أهل الغرة، تمم هذا الحديث، قال له الشيخ: ما أعرف له تماما، قال قضيب البان: تمامه: فلا تحقرن عبداً آتاه الله علما فإن الله لم يحقره حين آتاه ذلك العلم، وودع الشيخ ومضى وسافر .ا هـ . قلت: وهذا الذى ذكره قضيب البان لقد جاء فى الخبر كما فى القوت: إن العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة.

والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعنى وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر والأمن من مكر الله سبحانه فى سلب ما أعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة، فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة، وأضدادها وهى الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات، فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة، وهو فرض عين فى فتوى علماء الآخرة، فالمُعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك فى الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا، فنظر الفقهاء فى فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة، ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعانى حتى عن الإخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذى فى إهماله هلاكه فى الآخرة، ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمى لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التى تنقضى الدهور ولا يُحتاج إلى شىء منها وإن احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها، فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهاراً، وفى حفظه ودرسه، ويغفل عما هو مهم نفسه فى الدين، وإذا روجع فيه قال: اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية، ويُلَبِّس على نفسه وعلى غيره فى تعلمه، والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر فى فرض الكفاية لقدّم عليه فرض العين بل قدّم عليه كثيراً من فروض الكفايات، فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحداً يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه، لا سيما الخلافات والجدليات، والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع، فليت

شعرى كيف يرخص فقهاء الدين فى الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة، وإهمال ما لا قائم به ؟ هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولى الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة، والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء، هيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء، فالله تعالى المستعان وإليه الملاذ فى أن يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ويضحك الشيطان، وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرّين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب.

كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب ويسأله : كيف يفعل فى كذا وكذا ؟ فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوى ؟ فيقول : إن هذا وُفق لما أغفلناه، وكان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين رحمهما الله يختلفان إلى معروف الكرخى، ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما، وكانا يسألانه. كيف وقد قال رسول الله ﷺ : « **لما قيل له: كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب ولا سنة ؟ فقال** ﷺ : « **سلوا الصالحين، واجعلوه شورى بينهم**» (٧٣) ولذلك قيل: علماء الظاهر زينة الأرض والملك، وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت.

---

(٧٣) حديث: « . لما قيل له: كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب الله ولا السنة . وفى نسخة: فى كتاب ولا سنة، فقال فى الجواب: « سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم » الشورى بالضم فعلى من الشورة، **قال العراقى** فيه: عن على بن أبى طالب وابن عباس، أما حديث على فرواه الطبرانى فى الأوسط من رواية الوليد بن صالح عن محمد ابن الحنفية عن على قال: قلت: يا رسول الله إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر ولا نهى فما تأمرنا ؟ قال: تشاوروا الفقهاء والعابدين ولا تمضوا فيه رأى خاصة . رجاله رجال الصحيح، ورواه ابن عبد البر فى العلم من رواية إبراهيم بن أبى الفياض عن سليمان بن يزيع عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب ﷺ قال: « قلت: يا رسول الله، الأمر ينزل بنا لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه منك سنة؟ قال: اجمعوا له العالمين - أو قال العابدين - من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم، ولا تقضوا فيه برأى واحد» وفى رواية له: «اجمعوا له العابدين من غير شك». قال ابن عبد البر: هذا حديث لا يعرف من حديث مالك إلا بهذا الإسناد ولا أصل له فى حديث مالك عندهم ولا فى حديث غيره، وإبراهيم وسليمان ليسا بالقويين، والله أعلم .ا هـ . وقال ابن يونس: سليمان بن يزيع منكر الحديث، وإبراهيم بن أبى الفياض روى عن أشهب مناكير، وأما حديث ابن عباس فرواه الطبرانى من رواية إسحق بن عبد الله بن كيسان المروزى عن أبيه عن عكرمة فذكر حديثًا قال فيه: قال على: يا رسول الله، أرأيت إن عرض لنا ما لم=

وقال الجنيد رحمه الله: قال لى السرى شيخى يوما: إذا قمت من عندى فمن تجالس؟ قلت: المحاسبى، فقال: نعم، خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام وردَّه على المتكلمين، ثم لما وليت سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفيًا، ولا جعلك صوفيًا صاحب حديث، أشار إلى أن من حصَّل الحديث والعلم ثم تصوَّف أفلح، ومن تصوَّف قبل العلم خاطر بنفسه.

فإن قلت: فلِمَ لَمْ تورد فى أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان؟ فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التى ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه، وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهى من البدع كما سيأتى بيانه، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التى أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين، ولم يكن شىء منه مألوفًا فى العصر الأول، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع، ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة، ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلامًا مؤلفًا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونًا فيه، بل صار من فروض الكفايات وهو

= ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنة منك؟ قال: «تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين...» الحديث، وعبد الله بن كيسان منكر الحديث قاله البخارى، وابنه إسحق نسبه الحاكم وقد ورد من وجه آخر مرسلا رواه الدارمى فى مسنده من حديث أبى سلمة أن النبى ﷺ سئل عن الأمر يحدث ليس فى كتاب ولا سنة، قال: « ينظر فيه العابدون من المؤمنين »، وهذا إنما يصح من قول ابن مسعود موقوفا، رواه الطبرانى وابن عبد البر فى أثر طويل وفيه: فإن أتاه أمر ليس فى كتاب الله ولم يقض فيه رسول الله ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون. وإسناده ثقات يحتج بهم. ا.هـ. وفى القوت: وقد روينا فى خبر: قيل: يا رسول الله كيف نصنع... فذكر مثل سياق المصنف، وفى آخره: ولا تقضوا فيه أمرا دونهم. ثم قال: وفى حديث معاذ: فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ، قال: أقضى فيه بما قضى الصالحون، فقال: «الحمد لله الذى وفّق رسولَ رسوله» وفى بعضها: أجتهد رأيى. وكان سهل يقول: لا تقطعوا أغراض الدين والدنيا إلا بمشورة العلماء تجدوا العاقبة عند الله تعالى، قيل: يا أبا محمد، من العلماء؟ قال: الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله عز وجل على نفوسهم، وقد قال عمر ﷺ فى وصيته: وشاور فى أمورك الذين يخشون الله عز وجل. ا.هـ.

القدر الذى يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سنذكره فى الباب الذى يلى هذا إن شاء الله تعالى.

وأما الفلسفة فليست علمًا برأسها بل هى أربعة أجزاء :

أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة، فإن أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما إلى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما، كما يصان الصبى عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر، وكما يصان حديث العهد بالإسلام عن مخالطة الكفار خوفًا عليه، مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم.

الثانى المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه، ووجه الحدّ وشروطه وهما داخلان فى علم الكلام.

والثالث الإلهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته، وهو داخل فى الكلام أيضًا، والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم، بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة، وكما أن الاعتزال ليس علمًا برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة ؛ فكذلك الفلاسفة.

والرابع الطبيعيات، وبعضها مخالف للشرع والدين الحق، فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى أقسام العلوم، وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء، إلا أن الطبيب ينظر فى بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح، وهم ينظرون فى جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك، ولكن للطب فضل عليه، وهو أنه محتاج إليه، وأما علومهم فى الطبيعيات فلا حاجة إليها، فإذاً الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسةً لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة، وإنما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الإنسان إلى استئجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق، ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج ؛ فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر إلى الزيادة على ما عُهِدَ فى عصر الصحابة

ﷺ ، فليعلم المتكلم حدَّه من الدين وأن موقعه منه موقع الحارس فى طريق الحج فإذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج، والمتكلم إذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة، ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا، وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التى يشاركه فيها سائر العوام، وهى من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان، وإنما يتميز عن العامى بصنعة المجادلة والحراسة ؛ فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه فى علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام، بل يكاد أن يكون الكلام حجابًا عليه ومانعًا عنه، وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التى جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية ، حيث قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩) فإن قلت فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما أن حدّ البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حدّ الفقيه إلى حفظ القانون الذى به يكف السلطان شرّ بعض أهل العدوان عن بعض، وهاتان رتبتان نازلتان بالإضافة إلى علم الدين، وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون، وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالإضافة إلى علم الدين ؟ فاعلم أن من عرف الحق بالرجال صار فى متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله إن كنت سالكا طريق الحق، وإن قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عرّضت بذكرهم على تقدمهم وأنه لا يدرك فى الدين شأوهم، ولا يشق غبارهم، ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها.

« وما فضل أبو بكر رضي الله عنه الناسَ بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشىء وقر فى صدره » (٧٤) كما شهد له سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام فليكن حرصك فى طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدرّ المكنون، ودع عنك ما تطابق أكثر

(٧٤) حديث: « ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام » الحديث، الترمذى الحكيم فى النوادر من قول بكر بن عبد الله المزنى، ولم أجده مرفوعا .

الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها، فلقد قُبض رسول الله ﷺ عن آلاف من الصحابة رضي الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام، ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا، ولقد كان ابن عمر رضي الله عنه منهم، وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل: إذهب إلى فلان الأمير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه، إشارة إلى أن الفتيا فى القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة، ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه: مات تسعة أعشار العلم، فقيل له: أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة؟ فقال: لم أرد علم الفتيا والأحكام، إنما أريد العلم بالله تعالى؛ أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل! فما بالك لا تحرض على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر تسعة أعشاره، وهو الذى سد باب الكلام والجدل وضرب ضبيعًا بالدرة لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين فى كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره، وأما قولك: إن المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون؛ فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شيء، وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر، فلقد كان شهرة أبى بكر الصديق رضي الله عنه بالخلافة، وكان فضله بالسر الذى وقر فى قلبه، وكان شهرة عمر رضي الله عنه بالسياسة، وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته، وبقصده التقرب إلى الله عز وجل فى ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن فى سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتُصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب فى الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد، فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء، وقد انقسموا، فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبّه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم، فإن كل علم عمل، فإنه فعل مكتسب، وليس كل عمل علمًا، والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابًا على علمه من حيث إنه عامل لله سبحانه وتعالى به، والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه ومثابا، لا من حيث إنه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه.

وأقسام ما يُتقرب به إلى الله تعالى ثلاثة : علم مجرد وهو علم المكاشفة، وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس، ومركّب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فإن صاحبه من العلماء والعمال جميعًا، فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة فى حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو فى حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما، فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل :

خذ ما تراه ودع شيئًا سمعت به . . . فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وأنهم من أشدّ خصمائهم يوم القيامة؛ فإنهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى، وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه فى باب علامات علماء الآخرة، فإنهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها، ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ولا حاجة إلى ذكرها.

ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الإسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنًا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب خمسة : الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى، وكل واحد منهم كان عابدًا وزاهدًا وعالمًا بعلوم الآخرة وفقيهًا فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدًا بفقهه وجه الله تعالى ؛ فهذه خمس خصال أتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمير والمبالغة فى تفاريع الفقه لأن الخصال الأربع لا تصلح إلا للآخرة، وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة، إن أريد بها الآخرة قلّ صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدّادين، فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربع فإن معرفتهم بالفقه ظاهرة.

أما الإمام الشافعى رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدًا ما روى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء : ثلثًا للعلم وثلثًا للعبادة وثلثًا للنوم، قال الربيع: كان الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى رمضان ستين مرة، كل ذلك فى الصلاة، وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرآن فى رمضان فى كل يوم مرة، وقال الحسن الكرابيسى : بتّ مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحوًا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة آية، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين، ولا يمر بآية عذاب إلا تعوّذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين، وكأنما جمع له الرجاء والخوف معًا، فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرآن وتدبره فيها، وقال الشافعى رحمه الله : ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب، ويزيل الفطنة ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة ؛ فانظر إلى حكمته فى ذكر آفات الشبع، ثم فى جدّه فى العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ورأس التعبد تقليل الطعام، وقال الشافعى رحمه الله: ما حلفت بالله تعالى لا صادقًا ولا كاذبًا قط فانظر إلى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه، وسئل الشافعى رضي الله عنه عن مسألة فسكت ؛ فقيل له: ألا تجيب رحمك الله ؟ فقال : حتى أدرى الفضل فى سكوتى أو فى جوابى. فانظر فى مراقبته للسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطًا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر، وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب، وقال أحمد بن يحيى بن الوزير : خرج الشافعى رحمه الله تعالى يومًا من سوق القناديل فتبعناه فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم ؛ فالتفت الشافعى إلينا وقال : نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء فى إنائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم، ولو ردّت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقى بها قائلها، وقال الشافعى رضي الله عنه : كتب حكيم إلى حكيم : قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم.

وأما زهده ﷺ فقد قال الشافعي رحمه الله : من ادّعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب، وقال الحميدى : خرج الشافعى رحمه الله تعالى إلى اليمن مع بعض الولاة فانصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء فى موضع خارج مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها، وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامى مالا كثيرا، وسقط سوطه من يده مرة فرفعه إنسان إليه فأعطاه جزاء عليه خمسين ديناراً، وسخاوة الشافعى رحمه الله أشهر من أن تحكى، ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيئا أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا فى عينه وهو معنى الزهد، ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ما روى أنه روى سفيان بن عيينة حديثًا فى الرقائق فغشى على الشافعى، فقيل له : قد مات، فقال : إن مات فقد مات أفضل زمانه، وما روى عبد الله بن محمد البلوى، قال : كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسًا نتذاكر العبّاد والزهاد، فقال لى عمر : ما رأيت أروع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشافعى ﷺ ،خرجت أنا وهو والحرث بن لبيد إلى الصفا، وكان الحرث تلميذاً لصالح المرى فافتتح يقرأ، وكان حسن الصوت، فقرأ هذه الآية : ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ (المرسلات: ٣٥، ٣٦) فرأيت الشافعى رحمه الله وقد تغير لونه واقشعرّ جلده واضطرب اضطراباً شديداً وخرّ مغشيًا عليه، فلما أفاق جعل يقول: أعوذ بك من مقام الكاذبين وإعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين، وذلّت لك رقاب المشتاقين، إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك، قال : ثم مشى وانصرفنا، فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى : يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدنيا والآخرة،فالتفتُّ فإذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره، فالتفت إلىّ فقال : هل لك من حاجة ؟ فقلت: نعم تعلمنى مما علمك الله شيئًا، فقال لى : اعلم أن من صدق الله نجا، ومن أشفق على دينه سلم من الردى، ومن زهد فى الدنيا قرّت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا، أفلا أزيدك ؟ قلت: نعم، قال: من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الإيمان : من أمر بالمعروف وائتمر، ونهى عن المنكر

وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى، ألا أزيدك؟ قلت: بلى، فقال، كن فى الدنيا زاهدا، وفى الآخرة راغبا، واصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين، ثم مضى، فسألت: من هذا؟ فقالوا: هو الشافعى. فانظر إلى سقوطه مغشيا عليه، ثم إلى وعظه كيف يدل على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فإنه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (فاطر: ٢٨) . ولم يستفد الشافعى رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والإجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما.

وأما كونه عالمًا بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه، روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة: الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا إليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم، وقال الشافعى رحمه الله تعالى: إذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب، ومن أى عقاب ترهب، وأى عافية تشكر، وأى بلاء تذكر، فإنك إذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك. فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب، وقال الشافعى رضي الله عنه: من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وقال رحمه الله: من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره، وقال: ما من أحد إلا له محب ومبغض، فإذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل، وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعى رضي الله عنه عن مسائل فى الورع، والشافعى رحمه الله يقبل عليه لورعه، وقال للشافعى يوما: أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين؟ فقال الشافعى رحمه الله: التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة، فإذا امتحن صبر وإذا صبر مكن، ألا ترى أن الله عز وجل امتحن إبراهيم عليه السلام ثم مكنه، وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه الله ملكا، والتمكين أفضل الدرجات، قال الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (يوسف: ٢١) وأيوب عليه السلام بعد المحنة

العظيمة مكن، قال الله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ (الأنبياء : ٨٤). فهذا الكلام من الشافعي رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين إلى الله تعالى من الأنبياء والأولياء، وكل ذلك من علوم الآخرة، وقيل للشافعي رحمه الله: متى يكون الرجل عالما ؟ قال : إذا تحقق فى علم فعلمه، وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما، فإنه قيل لجالينوس: إنك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمَّعة، فقال : إنما المقصود منها واحد وإنما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الإفراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته فى معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة.

وأما إرادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه قال: وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب إلىَّ شيء منه، فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له، وكيف كان منزه القلب عن الالتفات إليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى، وقال الشافعي ﷺ : ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ، وقال: ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويُعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ، وما كلمت أحداً قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه، وقال: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت محبته، ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته. فهذه العلامات هى التى تدل على إرادة الله تعالى بالفقه والمناظرة، فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط، ثم كيف خالفوه فيها أيضا، ولهذا قال أبو ثور رحمه الله: ما رأيت ولا رأى الراءون مثل الشافعي رحمه الله تعالى، وقال أحمد بن حنبل ﷺ : ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه الله تعالى. فانظر إلى إنصاف الداعى وإلى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء فى هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم فى دعوى الاقتداء بهؤلاء، ولكثرة دعائه له قال له ابنه: أىّ رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟ فقال أحمد : يا بنى، كان الشافعي رحمة الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف؟! وكان أحمد رحمه الله يقول : ما مسَّ أحد بيده محبرة إلا وللشافعي رحمه الله فى عنقه منّة، وقال يحيى

ابن سعيد القطان مـا صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافـعى لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفّقه للسداد فيه، ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله فإن ذلك خارج عن الحصـر، وأكثر هذه المناقب نـقلناه من الكتاب الذى صنفه الشـيخ نصر بن إبراهيم المـقدسى رحمه الله تعالى فى مناقب الشافعى رضي الله عنه وعن جميع المسلمين.

وأما الإمام مالك رضي الله عنه فإنه كـان أيضا متحليا بهذه الخصال الخـمس فإنه قيل له: ما تقول يا مالك فى طلب العلم ؟ فقال: حسن جميل، ولكن انظر إلى الذى يلزمك من حين تصبح إلى حين تمـسى فالزمه، وكان رحـمه الله تعالى فى تعظيم علم الدين مبـالغا حتى كان إذا أراد أن يحـدث توضأ وجلس على صـدر فراشه وسرّح لحيتـه واستـعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيـبة ثم حدّث، فقيل له فـى ذلك، فقال :أحب أن أعظّم حديث رسـول الله ﷺ ، وقال مـالك : العلم نور يجعله الـله حيث يشاء وليـس بكثرة الرواية. وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى.

وأما إرادته وجه الله تعـالى بالعلم فيدل عليه قـوله: الجدال فى الدين ليس بشىء، ويدل عليه قول الشافعى رحـمه الله : إنى شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعـين مسألة فقال فى اثنتين وثلاثين منها: لا أدرى. ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدرى، ولذلك قال الشافعى رضي الله عنه: إذا ذُكر العلماء فمالك النجم الثاقب، وما أحد أمنّ علىّ من مالك، وروى أن أبا جعفـر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكرَه ثم دسّ عليه مَنْ يسأله، فروى على ملأ من الناس : « ليس على مستكره طلاق »، فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث، وقال مالك رحمه الله : ما كان رجل صادقا فى حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف.

وأما زهده فى الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهـدى أمير المؤمنين سأله فقال له: هل لك من دار؟ فقال : لا، ولكـن أحدثك: سمعت ربيعـة بن أبى عبد الرحمن يقـول : نسب المرء داره. وسأله الرشيد : هل لك دار ؟ فقال: لا، فـأعطاه ثلاثة آلاف دينار، وقال: اشتر بها داراً فأخذها ولم ينفقهـا، فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمـه الله: ينبغى أن تخرج معنا

فإني عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان ﷺ الناس على القرآن، فقال له: أما حمل الناس على الموطأ فليس إليه سبيل لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده في الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم، وقد قال ﷺ: « **اختلاف أمتي رحمة** »[75] وأما

(٧٥) حديث: « اختلاف أمتي رحمة » **قال العراقي**: ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد بهذا اللفظ وأسنده في المدخل من رواية سليمان بن أبي كريمة عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رفعه فذكر حديثا في آخره « واختلاف أصحابي لكم رحمة » وسليمان وجويبر ضعيفان جدا، والضحاك بن مزاحم مختلف فيه، وكان شعبة ينكر أن يكون سمع من ابن عباس .ا هـ .
قال مرتضى: وأول الحديث الذي في المدخل: « مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله، فسنة مني ماضية، فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي إن أصحابي كالنجوم في السماء فأيما أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة » قال السخاوي: ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي في مسنده بلفظه سواء، قلت: وكذا أبو نصر السجزي في الإبانة، وقال: غريب، والخطيب وابن عساكر في تاريخهما كذا في الجامع الكبير للسيوطي، وقال ابن السبكي في تخريج أحاديث المنهاج: هذا شيء لا أصل له، وقال والده: لم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع . اهـ. وأورده الحليمي في كتاب الشهادات من تعليقه، والقاضي حسين وإمام الحرمين، وقال ابن الملقن في تخريج أحاديث المنهاج: لم أر من خرّجه مرفوعا بعد البحث الشديد عنه وإنما نقله ابن الأثير في مقدمة جامعه من قول مالك، وقال الزركشي في تذكرته: رواه الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة مرفوعا، ورواه البيهقي في المدخل عن القاسم بن محمد من قوله، وعن يحيى بن سعيد نحوه وعن عمر ابن عبد العزيز أنه كان يقول: ما سرني لو أن أصحاب محمد ﷺ لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة انتهى كلام الزركشي . **وقال العراقي**: وله إسناد آخر مرسل، رواه آدم بن أبي إياس في كتاب العلم والحلم، قال: حدثنا بقية حدثنا أبو الحجاج مهدي حدثني شيخ من لخم قال: قال رسول الله ﷺ: « اختلاف أصحابي لأمتي رحمة »، وهذا إسناد فيه جهالة، والمعروف أن هذا من قول القاسم بن محمد أنه قال: اختلاف أمة محمد ﷺ رحمة، رواه البيهقي في المدخل .ا هـ . قال السخاوي: وقد عزاه الزركشي إلى كتاب الحجة لنصر المقدسي مرفوعا من غير بيان لسنده ولا صحابيه، وكذا عزاه العراقي لآدم بن أبي إياس في كتاب العلم والحلم، قال: هو مرسل ضعيف، وبهذا اللفظ يعني لفظ ابن أبي إياس، ذكره البيهقي في رسالته الأشعرية بغير إسناد، وفي المدخل من حديث سفيان عن أفلح بن حميد عن القاسم بن حميد قال: اختلاف أصحاب محمد رحمة لعباد الله، ومن حديث قتادة أن عمر بن عبد العزيز كان يقول . . . ثم ساق بمثل سياق الزركشي، ومن حديث الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال: أهل العلم أهل توسعة، وما برح المفتون يختلفون، فيحل هذا ويحرم هذا ولا يعيب هذا على هذا، ثم قال السخاوي: وقرأت بخط شيخنا يعني ابن حجر الحافظ أنه أي هذا الحديث – مشهور على الألسنة، وقد أورده ابن الحاجب في المختصر في مباحث القياس بلفظ: اختلاف=

الخروج معك فلا سبيل إليه؛ قال رسول الله ﷺ: « **المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون** » (٧٦).

وقال عليه الصلاة والسلام: « **المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد** » (٧٧) وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها. يعنى أنك إنما تكلفنى مفارقة

= أمتى رحمة للناس وكثر السؤال عنه، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له لكن ذكره الخطابى فى غريب الحديث مستطردا وقال: اعترض على هذا الحديث رجلان أحدهما أباضى والآخر ملحد وهما إسحق الموصلى وعمرو بن بحر الجاحظ وقالا جميعا: لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا، ثم تشاغل الخطابى فرد هذا الكلام، ولم يقع فى كلامه شفاء فى عزو الحديث ولكنه أشعر بأن له أصلا عنده .ا هـ .

(٧٦) حديث: « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » **قال العراقى**: قد رواه كذلك ابن أبى حاتم فى مقدمة الجرح والتعديل عن مالك عن النبى ﷺ بغير إسناد، وهو مسند متصل من حديث مالك وغيره من حديث سفيان بن أبى زهير وأبى هريرة وسعد بن أبى وقاص وجابر وأبى أيوب وزيد بن ثابت وأبى أسيد، أما حديث سفيان بن أبى زهير ؓ فأخرجه البخارى والنسائى من طريق مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن سفيان عن أبى زهير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تفتح اليمن فيأتى قوم يبسون فيتحملون لأهليهم ومن أطاعهم، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، الحديث رواه مسلم من رواية وكيع وابن جريج والنسائى من رواية عبدة بن سليمان ثلاثتهم عن هشام بن عروة، **قال مرتضى**: لفظ مسلم: « يفتح الشام فيخرج من المدينة قوم بأهليهم يبسون، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » ثم ذكر اليمن ثم العراق بهذا اللفظ، **قال العراقى**: وأما حديث أبى هريرة فرواه مسلم فى أفراده من رواية العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: « يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء، هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كان يعلمون » الحديث. **وقال مرتضى**: أخرجه مسلم من طريق الداوردى عن العلاء عن أبيه. وأما حديث سعد فرواه مسلم والنسائى من رواية عثمان بن حكيم، حدثنى عامر بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: « إنى أحرم ما بين لابتى المدينة أن تقطع عضاهها أو يقتل صيدها»، وقال: « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ». وأما حديث جابر فرواه أحمد فى المسند من طريق أبى الزبير، عن جابر والبزار من طريق الحريرى عن أبى بصرة عن جابر ورجاله ثقات، وأما حديث أبى أيوب وزيد بن ثابت وأبى أسيد، فرواها الطبرانى فى الكبير بأسانيد جيدة .

(٧٧) حديث: « المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد» الخبث محركة ما يلقى من وسخ الفضة والنحاس وغيرهما إذا أذيبت، قاله ابن الأثير، **وقال العراقى**: وهو متصل من حديث مالك وغيره من حديث أبى هريرة وجابر وزيد بن ثابت، أما حديث أبى هريرة فرواه البخارى ومسلم والنسائى من طريق مالك عن يحيى بن سعيد قال: سمعت أبا الحباب سعد بن يسار يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: « أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب =

المدينة لما اصطنعته إليّ فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ ؛ فهكذا كان زهد مالك. ولما حملت إليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها في وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا، وليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب عنه، ولقد كان سليمان عليه السلام في ملكه من الزهاد.

ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعي رحمه الله أنه قال: رأيت على باب مالك كراعًا من أفراس خراسان ويقال مصر ما رأيت أحسن منه، فقلت لمالك رحمه الله: ما أحسنه، فقال: هو هدية منى إليك يا أبا عبد الله، فقلت: دع لنفسك منها دابة تركبها فقال إنى أستحيى من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبى الله ﷺ بحافر دابة. فانظر إلى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة، وإلى توقيره لتربة المدينة.

= وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد» ورواه مسلم من رواية ابن عيينة، وعبد الوهاب الثقفى كلاهما عن يحيى بن سعيد. وأما حديث جابر فرواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طريق مالك عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله ؓ أن أعرابيا بايع النبى ﷺ فذكر حديثا فى آخره فقال: قال رسول الله ﷺ: «إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها» ورواه البخارى والنسائى من رواية سفيان الثورى عن ابن المنكدر، وفى رواية لأحمد من رواية زهير عن زيد بن أسلم عن جابر فذكر حديثا فيه خروج المنافقين والمنافقات من المدينة إلى الدجال، ثم قال: ذلك يوم تنفى المدينة الخبث كما ينفى الكير خبث الحديد. وذكر بقية الحديث ورجاله رجال الصحيح، وأما حديث زيد بن ثابت فرواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من رواية عبد الله بن ثابت عن النبى ﷺ: «إنها طيبة - يعنى المدينة - وإنها تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة .ا هـ . قال مرتضى: ولفظ البخارى من حديث جابر: جاء أعرابى فبايعه - يعنى النبى ﷺ - على الإسلام، ثم جاء من الغد محموما فقال: أقلنى بيعتى، فأبى، ثم جاء فأبى، ثم جاء فقال: أقلنى بيعتى، فأبى، فخرج الأعرابى فقال النبى ﷺ: «إنما المدينة ...» الحديث، قاله ابن السبكى فى تخريج أحاديث المنهاج، وقال ابن الملقن فى تخريج أحاديث الكتاب المذكور: أخرجه الشيخان فى صحيحيهما من طرق أحدها عن أبى هريرة مطولا وفيه: ألا إن المدينة كالكير تُخرج الخبث، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبثه» الثانى عن جابر مطولا أيضا بقصة وفيه: «إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وينصع طيبها»، الثالث عن زيد بن ثابت ولفظه: «إنها طيبة - يعنى المدينة ... وساق كسياق العراقى، قال: وفى بعض طرق البخارى: «تنفى الذنوب» ذكره فى المغازى .

ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روى عنه أنه قال: دخلت على هارون الرشيد فقال لي: يا أبا عبد الله، ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ، قال: فقلت: أعز الله مولانا الأمير، إن هذا العلم منكم خرج فإن أنتم أعززتموه عزّ وإن أنتم أذللتموه ذلّ، والعلم يؤتى ولا يأتى، فقال: صدقت، اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعوا مع الناس.

وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضًا عابدًا زاهدًا عارفًا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه، فأما كونه عابدًا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال: كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة، وروى حماد بن أبي سليمان أنه كان يحيى الليل كله. وروى أنه كان يحيى نصف الليل فمرّ يومًا في طريق فأشار إليه إنسان وهو يمشى فقال لآخر هذا هو الذى يحيى الليل كله، فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كله، وقال: أنا أستحيى من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فيّ من عبادته.

وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال: أرسلنى يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبى حنيفة عليه، فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فأبى، فضربه عشرين سوطًا. فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب. قال الحكم بن هشام الثقفى: حُدِّثت بالشام حديثًا فى أبى حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة، وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى، وروى أنه ذُكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال: أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها، وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبى حنيفة: قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم، قال: فما رضى أبو حنيفة، قال: فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح، ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم، فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه، فقال بعض من حضر: ما يكلمنا إلا بالكلمة، أى هذه عادته؛ فقال: ضعوا المال فى هذا الجراب فى زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه: إذا مت ودفنتمونى فخذ هذه البدرة واذهب بها إلى الحسن بن قحطبة فقل له: خذ

وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة، قال ابنه: فـفعلت ذلك، فقال الحسن: رحمة الله على أبيك، فلقد كان شحيحًا على دينه. وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء، فقال: أنا لا أصلح لهذا، فقيل له :لِمَ ؟ فقال : إن كنت صـادقًا فما أصلح لها، وإن كنت كاذبًا فـالكاذب لا يصلح للقضاء، وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل ؛ فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده فى الدنيا، وقـد قال ابن جريج: قد بلغنى عن كوفـيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخـوف لله تعالى. وقال شريك النخـعى: كان أبو حنيفـة طويل الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس. فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطنى والاشتغال بمهمات الدين، فمن أوتى الصمت والزهد فقد أوتى العلم كله.

فهذه نبذة من أحوال الأئمـة الثلاثة، وأما الإمام أحمد بن حنبل وسفيان الثـورى رحمهما الله تعالى فـأتباعهمـا أقل من أتباع هؤلاء، وسفـيان أقل أتباعًا من أحـمد، ولكن اشتهـارهما بالورع والزهد أظهر، وجميع هذا الكتـاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهـما فلا حاجة إلى التـفصـيل الآن. فـانظر الآن فى سيـر هؤلاء الأئمـة الثلاثـة وتأمل أن هذه الأحوال والأقـوال والأفعال فى الإعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هـل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والإجارة والظهار والإيلاء واللعـان، أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه؟ وانظر إلى الذين ادّعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا فى دعواهم أم لا ؟

★ ★ ★

[illegible]

[illegible]

الباب الثالث

فيما يعدّه العامة من العلوم المحمودة وليس منها

وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموماً، وبيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة، وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها

بيان علة ذم العلم المذموم

لعلك تقول: العلم هو معرفة الشىء على ما هو به، وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشىء علمًا ويكون مع كونه علمًا مذمومًا، فاعلم أن العلم لا يذم لعينه، وإنما يذم فى حق العباد لأحد أسباب ثلاثة :

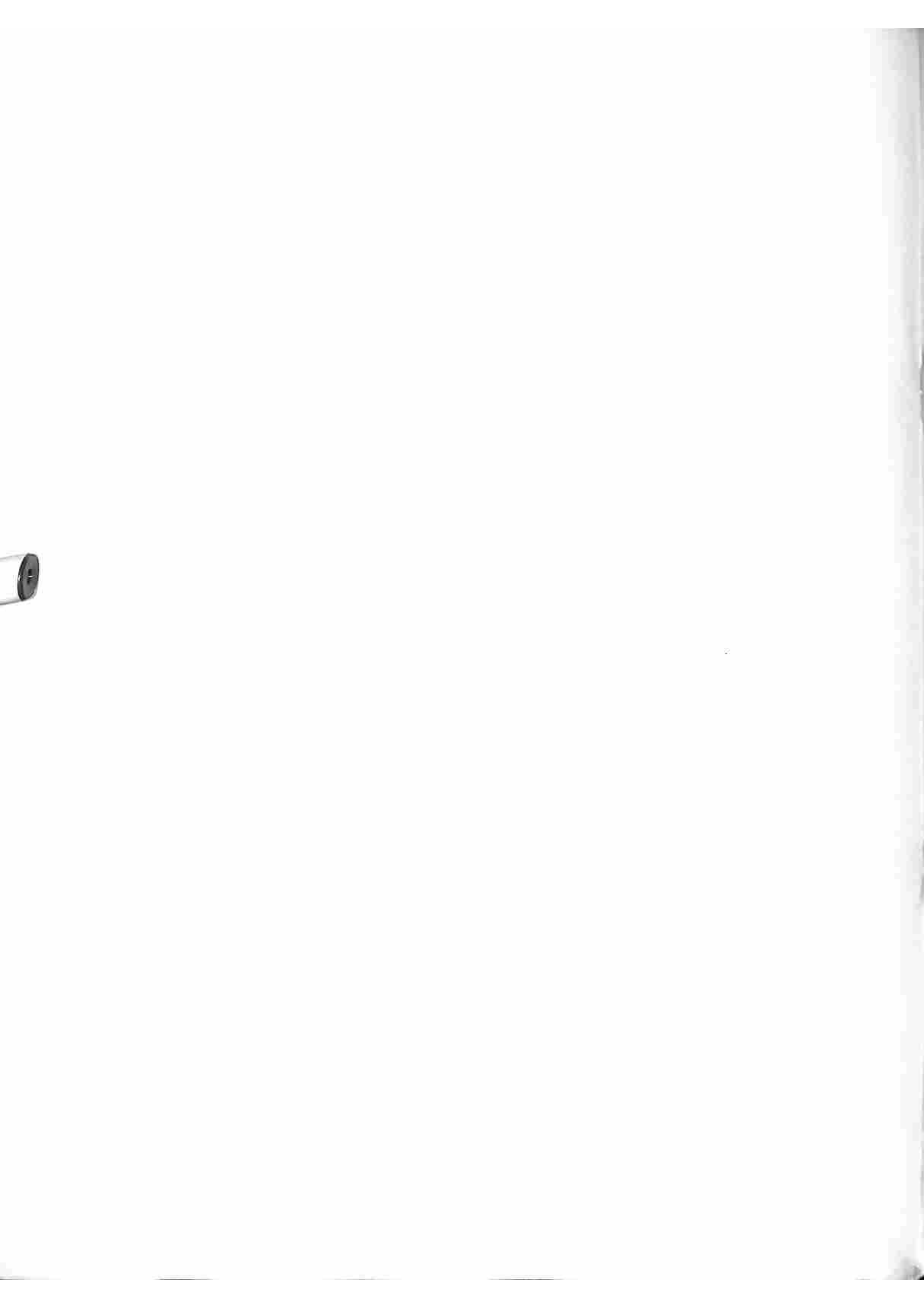
الأول : أن يكون مؤديًا إلى ضررٍ ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق، إذ شهد القرآن له وأنه سبب يتوصل به إلى التفرقة بين الزوجين.

« وقد سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر » (٧٨) وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور

---

(٧٨) حديث: « سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر». **قال العراقى**: متفق عليه من حديث عائشة .ا هـ . **قال مرتضى**: أخرجه البخارى فى كتاب الطب من طريق عيسى بن يونس وسفيان بن عيينة وأبى أسامة ثلاثتهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، أما الطريق الأولى ففيها قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بنى زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يُخيل إليه أنه يفعل الشىء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى دعا ودعا، ثم قال: « يا عائشة، أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيته فيه، أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل ؟ فقال: مطبوب، قال: من طبه ؟ قال: لبيد بن=

= الأعصم، قال: فى أى شىء ؟ قال: فى مشط أو مشاطة وجف طلع من نخلة ذكر، قال: وأين هو ؟ قال: فى بئر ذروان »، فأتاها رسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه فجاء فقال: «يا عائشة، كأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين»، قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته، قال: « قد عافاني الله فكرهت أن أثير على الناس شراً »، فأمر بها فدفنت. قال البخارى: تابعه أبو أسامة وأبو حمزة وابن أبى الزناد عن هشام، وقال الليث وابن عيينة عن هشام: من مشط ومشاقة ويقال: المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط، والمشاقة من مشاقة الكتان، وأما الطريق الثانية ففيها قال: ومن طبه ؟ قال: لبيد بن الأعصم رجل من بنى زريق حليف ليهود كان منافقًا، وفيها: فى جف طلعة ذكر تحت زعوفة فى بئر ذروان، وفيها: فقالت: فقلت: أفلا تنشرت ؟ فقال: « أما والله فقد شفانى، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا» والباقى سواء، وأما الطريق الثالثة ففيها: فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر، قال: فأين هو ؟ قال: فى بئر ذروان قال: فذهب النبى ﷺ فى أناس من أصحابه إلى البئر فنظروا إليها وعليها نخل وفيها فأمر بها فدفنت. والباقى سواء، وقد أخرجه كذلك مسلم والنسائى فى الكبرى وابن ماجه كلهم من رواية هشام، **قال العراقى:** وفى الباب عن ابن عباس وزيد بن أرقم، أما حديث ابن عباس فأخرجه ابن مردويه فى تفسيره من رواية عصام عن سليمان بن عبد الله عن عكرمة عنه وعصام ضعيف، وأما حديث زيد بن أرقم فرواه ابن سعد فى الطبقات من رواية الثورى عن الأعمش عن ثمامة المحملى عنه وقال ابن الملقن فى شرحه على البخارى فى تفسير المعوّذتين: ويقال إن العقد عقدها بنات لبيد وهى إحدى عشرة عقدة فى وتر ومشط ومشاطة أعطاها لغلام يهودى يخدمه وصورة من عجين فيها إبرة مغروزة، فبعث عليًا والزبير وعماراً فاستخرجوه وشفاه الله تعالى وقال المهلب فى شرحه: مدار هذا الحديث على هشام بن عروة وأصحابه مختلفون فى استخراجه، فأثبته سفيان فى رواية من طريقين، وأوقف سؤال عائشة على النشرة ونفى الاستخراج عن عيسى بن يونس وأوقف سؤالها النبى ﷺ على الاستخراج، ولم يذكر أنه جاوب على الاستخراج بشىء، وحقق أبو أسامة جوابه ﷺ إذ سألته عائشة عن استخراجه بلا، فكأن الاعتبار يعطى أن سفيان أولى بالقول لتقدمه فى الضبط، وأن الوهم على أبى أسامة فى أنه لم يستخرجه ويشهد لذلك أنه لم يذكر النشرة، وكذلك عيسى بن يونس لم يذكر أنه ﷺ جاوب على استخراجه بلا، وذكر النشرة والزيادة من سفيان مقبولة؛ لأنه أثبتهم لا سيما فيما حقق من الاستخراج، وفى ذكر النشرة هى جواب للنبى ﷺ مكان الاستخراج، ويحتمل أن يحكم بالاستخراج لسفيان، ويحكم لأبى أسامة بقوله، لا على أنه استخرج الجف بالمشاقة ولم يستخرج صورة ما فى الجف لئلا يراه الناس فيتعلمونه، ثم اعلم أن السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل غير قادح فى نبوّته، وطاح بذلك طعن الملحدة قاتلهم الله وأنه كان يخيل إليه أنه فعل الشىء وما فعله، فذلك مما يجوز طرؤه عليه فى أمر دنياه دون ما أمر بتبليغه، وقد روى عن ابن المسيب وعروة « سحر حتى كاد ينكر بصره» وعن عطاء الخراسانى: حبس عن عائشة سنة، قال عبد الرزاق: وحبس عنها خاصة حين أنكر بصره، لكن رواية ثلاثة أيام أو أربعة هى أصوب .





بسم الله الرحمن الرحيم

نور اليقين في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين

إحياء علوم الدين للإمام الغزالى موسوعة إسلامية كبرى لا يستغنى عنها كل مسلم فقد جمع فيه الإمام الغزالى أمور الإسلام على أربعة كتب : العبادات ، والمعاملات ، والمهلكات ، والمنجيات ، فأجاد وأفاد .

وقد أورد الإمام الغزالى آلاف الأحاديث كانت مصدراً لآرائه بعد كتاب الله ، أتى بها محذوفة الأسانيد .

وقد عنى **الحافظ العراقى** بتخريج بعض الأحاديث وتعقب مصدرها ، ثم جاء **السيد محمد الزبيدى الشهير بمرتضى** فاستكمل عمل الحافظ العراقى وتعقب بعض الأحاديث التى لم يجد لها الحافظ العراقى أصلا فذكر لها أصولاً تقويها وتنقلها من الضعف إلى القوة وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب الحفّاظ .

ولقد قام شيخ المحدِّثين فى عصره **فضيلة الشيخ محمد الحافظ التجانى** بمراجعة تخريجى الحافظ العراقى والسيد مرتضى الزبيدى ورأى جمعهما فى كتاب واحد وهو أحد أعماله الجليلة المتعددة كترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وذخائر المواريث فى الدلالة على مواضع الحديث للنابلسى ... وغيرها من أعمال لم يقصد بها إلا وجه الله عز وجل .

اتفق جمهور العلماء على أن الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال لأنها مأمور بها أمراً عامّا ولا تصطدم بعقيدة ولا بأصل من الأصول ولا تحل حراما ولا تحرم حلالاً ، وقد يسوق العلماء الأحاديث الضعيفة بجوار الحديث الحسن أو الصحيح ليزداد السند به قوة وهذا معروف فى فن الحديث .

بمشيئة الله تعالى ستوالى « **دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع** » نشره فى أعداد متتابعة .

والله ولى التوفيق ،

هانى غريب